للشاعر: تيريز

قبس من مشكاة تراتيل "تيريز"

ترجمة:

الشيخ توفيق الحسيني

حقوق الطبع والنشر محفوظة

اسم الديوان: قبس من مشكاة تراتيل "تيريز".

للشاعر: سيداي تيريز.

ترجمة: الشيخ توفيق الحسيني.

تقدمة: دلاور زنكي.

الإخراج الفني: روني زنكي.

الطبعة الأولى.

مطبعة أميرال.

بيروت- ٢٠١٢م

Diyarî

Ji bo şoreşa rojavayî Kurdistanê

Digel hêviyên serkeftinê.

Cemalê Tîrêj

المقدمة

لمحة موجزة عن سيرة الشاعر: تيريز.

في عام ١٩٢٣م فتح نايف بن حسو[١] عينيه على الحياة في قرية "نجم" العائدة إلى مدينة القامشلي في محافظة الجزيرة السورية وإذ بلغ من العمر ستة أعوام هاجر والده بأسرته إلى قرية "سي متيكي نواف" التابعة لمدينة عامودة وأقام فيها، ولما استتب المقام بالأسرة تلقى الطفل "نايف" مبادئ القراءة والكتابة على يد إمام القرية "ملا إبراهيم كولي" وحفظ القرآن الكريم وحصّل بعض العلوم في فقه اللغة العربية والشريعة الإسلامية.

وفي عام ١٩٣٧م "آخذاً بنصيحة أستاذه" توجه إلى مدينة "عامودا" لاستئناف دراسته والاستزادة من العلم والمعرفة، ثم واظب على الدرس والتحصيل خمسة أعوام. وكأن الأقدار شاءت أن يغدو هذا الفتى النابغة شاعراً له شأن رفيع بين عمالقة الشعر وأسطوناً من أساطين الفكر إذ جمعت بينه وبين بعض الشعراء والكتاب والمفكرين مثل الشاعر: جكرخوين وقدري جان وحسن هشيار[٢] ونورالدين ظاظا.

فكان لهؤلاء المتنورين المثقفين جميعاً أثر بارز وعميق في نفس وفكر و وجدان هذا الفتى الناشئ الغض المشاعر، المرهف

---

[١] -اسمه الحقيقي نايف بن حسو.

[٢] - لقب الشاعر نايف حسو بـ"تيريز" من قبل المؤرخ حسن هشيار السردي.

الأحاسيس. فلا غرو إذا كان صرحه الشعري شامخاً وراسخاً، وكانت شخصيته فذة مترعة بالحكمة والتروي وبعد النظر في الأمور.

وفي هذه البيئة نما فكره وترسخت في نفسه جذور الشعر، وإذ كان تيريز متأثراً بالشاعر جكرخوين اعتنق مبادئ الشيوعية "انصار السلام" في بداية حياته النضالية.

يخاطب الشاعر الكبير جكرخوين صِنوَهُ الشاعر "نايف حسو= تيريز" في ديوانه "من أنا = kîme ez" وقد علق عليه آمالاً كبيرة:

"... هذه المعارف والعلوم
تقرب ساعة الحرية
وعلى أمثالك من النابهين
أن ينصحوا الجاهلين
بالتضامن والاتحاد
والتضحية في هذا السبيل".

أعتقل في عام ١٩٥٢م، واحتجزت السلطات الأمنية أحد دواوينه الذي كان لا يزال مخطوطاً وأتلفته، فكان ذلك سبباً لضياع كثير من شعره المعروف بأناقته وترفه.

وبعد خروجه من السجن قصد عشائر "جبور" العربية واحتمى بها ومكث بين ظهرانيها أمداً طويلاً. وفي عام ١٩٧٣م،

توجه إلى مدينة الحسكة، واستقر هناك حتى وافته المنية في يوم السبت الواقع في الثالث والعشرين من شهر آذار عام اثنين والفين رحل إلى الملأ الأعلى، ودفن جثمانه الطاهر في قرية "كر كفتار" في محافظة الحسكة.

كان الشاعر بفكره وعقيدته "برزانياً" ولكنه لم يكن مرتبطاً بأي حزب أو تنظيم سياسي أو ملتزماً بجهة من الجهات. ولكنه كان رجلاً وطنياً، قومياً، وشاعراً مستقلاً، حر الإرادة، ملتزماً بالقضية، كفكر وإيمان، فكان يمد يد العون إلى جميع الحركات الكردية والكردستانية ويرى أنه واحد منهم. وتتجلى لنا هذه الرؤية عند العودة إلى قصائده.

تيريز الشاعر:

لا سبيل إلى إنكار أن الشاعرية هي سجية إلهية توهب للإنسان وطبيعة موزونة في ضميره وروحانيته لا تتسنى بالرياضة والتعلم ولا تتأتى بالمراس والتدرب، فلو لم يكن الأمر كذلك لكان العقاد وطه حسين وأحمد حسن الزيات وغيرهم من كبار العلماء في المراتب العليا من الشاعرية.

كتب "تيريز" جميع شعره ونظم كل قصائده منذ البداية على النهج القديم والطريقة التقليدية "الكلاسيكية" التي سار عليها الشعراء الأوائل ولم يحد أو يتحول عنها إلى الأساليب الجديدة المبتكرة التي تهمل الوزن والتفعيلة والقافية والإيقاع الموسيقى

ولا تلتفت إلى قيود العروض الصارمة وتطلق على هذا الجنس من الشعر أسماء غريبة مثل: الشعر الحر والشعر المنثور والشعر الحديث.

وكان الشاعر "تيريز" يرى أن هذه البدعة الجديدة جور عن الطريق السوّي وآفة من آفات الشعر وإطلاق اسم الشعر عليها خطأ جسيم وعبث بالصيغ الجمالية. وهي أشبه بمحاولة بائسة لتمرد الدمامة على الوسامة والقسامة وتعطيل للموازين والقيم التي درج عليها القدماء في اجتراح المعاني في كلمات جزلة وبيان بديع في ثياب قشيبة زاهية تأخذ بمجامع النفس وتثير كوامن الشجن وتوقظ الذكريات الراقدة وتهيّج خلجات النفس الراكدة فإذا خرج الكلام عن هذه الشروط وانعتق من هذه القيود فهو ليس بشعر ولا يمت إليه بأية صلة وعلى المرء أن يبحث عن اسم آخر أو مصطلح آخر لإطلاقه على هذا الكلام المبتكر ويخلي سبيل الشعر ويدع شأنه ويتركه لأهله.

ولكي تكتمل الشخصية الشعرية لدى المرء "كما يرى تيريز" ينبغي له أن يأخذ أهبته من العدة التي سيفتقر إليها في خوض المعمعة مثلما يفعل الفارس الكميّ. واذا صح لنا أن ندعو أحداً شاعراً وجب أن يكون في كنانته سهام تطلق لاقتناص المعاني الشريفة والعبارات الأنيقة المحلفة في طيات خياله المجنح. لاستثمارها في كلام موزون ذي جِرْسٍ موسيقي وسجع وقافية.

ومهما يكن من شيء فإن الشاعر "تيريز" اكتسب ثقافة شعرية واسعة من مدرسة الشاعرين الجليلين: ملا أحمد خاني وملا أحمد جزيري ونسج على منوالهما. لقد تخرج الشاعر: جكرخوين من هذه المدرسة وكذلك الشاعر: تيريز فهما صنوان في دوحة الشعر لأن مشربهما كان واحداً وكان منهل ثقافتهما واحداً.

يقول "تيريز" في رأيه عن الشعر " إنني أرى الشعر نظماً ولحناً وقافية ومضموناً". أي أنّ أيَّ كلام خاوٍ من أحد هذه الشروط الأربعة انتفت عنه الصفة الشعرية وإذا أخلَّ الشاعر بشرط من هذه الشروط الأربعة انتفت عنه صفة الشاعرية. وبعد أن حاز "تيريز" صفة الشاعرية وامتلك ناصية البلاغة حلّق بجناحي نسر أعصم فوق ذرى جبال بلاده وساح في أمصارها وذرع الأرض طولاً وعرضاً. لم يدع رقعة من سهوب كردستان وسهولها وروابيها و وهادها دون أن يدفّ ويرفرف عليها بجناحيه. كان عاشقاً للطبيعة فوصفها وصفاً دقيقاً شاملاً.. وقد انعكس هذا الهيام على أسماء دواوينه الثلاثة فأطلق على كل ديوان اسم جبل من جبال كردستان: **"خلات- زوزان- جودي=Xelat- Zozan- Cûdî"** . زار كل الأصقاع، لامس بمقادم جناحيه ماء دجلة والفرات وغمس رجليه في مياه بحيرة "وان" و "أورميا" حجَّ إلى ضريحي "مم" و "زين" وقف على أطلال "برجا بلك" . سافر إلى "فارقين" و"مدياد" و "مهاباد" . ورحل إلى جبال "برزان" .. وزار السليمانية ودهوك وهولير...

تغنى بجمال الغابات وسحر الجبال وفتنة "الزوزان" وقف بخشوع أمام مرقد الشاعرين العظيمين أحمد خاني وملا أحمد جزيري. وطاف بجبال درسيم وآكري وتوغل بين أشجار وغابات اللوز والسنديان وتنزه في كل رياض الوطن الواسع.. وتنشق عبق كل زهرة و وردة من ورود وأزهار الرمان والتفاح في جبل "لالش" واستحم في "كانيا سبي" وتأمل نار المعابد الزرادشتية. وأطنب في نعت الوعول، والماعز الجبلي، والظبي والغزلان وذكر البلابل والشحارير والعنادل والهزار والحمام واليمام وكواسر الطير ودواجنها والطيور وأوكارها والسباع والضباع وأوجرتها وجحورها والخيل ومرابطها. لقد جمع الشاعر "تيريز" في سفينة شعره كل الكائنات الصغيرة والكبيرة ووضعها تحت ضبطه وأسبغ عليها ما شاء من المدح والإطراء. والمرأة جزء مهم من أجزاء الطبيعة لذلك احترمها الشاعر وعشقها وهام بها وجداً إذا حضرت ومتى أفلت وغابت عن ناظريه حنَّ إليها ملتاعاً متلهفاً إلى لقائها. لقد أحب الإنسان أينما كانوا وأحب في المرتبة الأولى أصحاب المقامات الذين انتفعت بهم البشرية ونالت على يدهم الخير والكرامة والرخاء وتعلمت منهم الحكمة. وهو عظيم التعلق بأهله وشعبه وقومه يحفظ سيرة الأفذاذ منهم ويذكر بطولاتهم، يفاخر بهم.. وينوه بمآثرهم... وإذ كان مخزونه الثقافي مليئاً بأخبار الأولين وأساطيرهم وعاداتهم وأعرافهم وتقاليدهم وعقائدهم فقد أثبت ذلك كله في قصائده الموزعة بين دواوينه

الثلاثة، وفي أعماله النثرية مثل كتابيه عن الطرائف الكردية، كما نظم قصيدة مطوّلة في سرد قصة المولد النبوي الشريف[٣]. وفي بعض قصائده ينحو منحى "كليلة و دمنة" يضمنها قصصاً وحكايات عن حيوانات تنطق بالحكمة والقول المأثور والنصائح والوصايا النافعة والدروس المفيدة المبثوثة في ثنايا السرد.

أما الغزل والتشبيب والنسيب ففي شعره الجمُّ والكثير من هذا الفن الجميل .. لقد كان "تيريز" رقيق العاطفة مرهف الحس، محباً للجمال بكل صوره وأشكاله سواء في الطبيعة الصامتة والشجر والإنسان وكل ما في الكون الرحيب من موجودات. .. رأى المرأة الحسناء الجميلة فافتتن بها وتَدَلّه في هواها... وأحبها حباً عذرياً صوفياً فوق شبهات الجسد.. حباً مستعراً لا هوادة فيه ولا سكينة. إنّه حبٌ مضطرم نجد لفحه بين الحروف والكلمات..

إن الشاعر "تيريز" يتخذ البلبل –في قصائده- رمزاً لشخصية الشاعر والوردة رمزاً للحبيبة، للمعشوقة التي أخذت بمجامع نفسه فسبت لبّه وأسرت فؤاده وملكت كل كيانه واستحوذت على وجوده لذلك يسترسل في الشعر والتغريد منذ الساعات الأولى لأضواء السَحَر بكل لحنٍ عذب شجيّ يناجي الوردة الحبيبة، ولكن الوردة ساهية عن ذلك، حتى إذا بزغت الشمس بألاء أنوارها وانسابت قطرات من الندى على محيا الوردة وتلألأت كحبات اللؤلؤ ومرَّت

---

[٣] - هذا الكتاب يتضمن /٣٢٣/ ثلاثمائة وثلاثة وعشرين بيتاً وعشرة فصول.

عليها نُسيمات الصباح استفاقت من سكونها وأصغت منتشية إلى نجوى البلبل العاشق الولهان وأقبلت عليه بكل جوارحها. وعندئذ تأتي الفراشات أفواجاً وارسالاً- ابتهاجاً بلقاء العاشقين- ترسم بأجنحتها الرقيقة الزاهية ألواناً من الفتنة والسحر والجاذبية والجمال.

ومما يحمد عليه الشاعر: "تيريز" أنه أحيا الأدب الشعبي لدى الأكراد وأنقذ كثيراً من الأساطير والحكايات التي أنتجتها أخيلة الرواة على مدى أزمنة طويلة، التي لا تقل متعة عن أساطير "ألف ليلة وليلة". إذ رسّخ قصة "سيامند وخجي" في /٣٣٥/ ثلاثمائة وخمسة وثلاثين بيتاً، ورواية "سيبان وبروين" في اربعمائة/٤٠٠/ بيت من الشعر وكذا قصة "جوان وكزي" في أربعمائة وواحد وعشرين/٤٢١/ بيتاً في صياغة بليغة، بعد أن كانت هذه الملاحم أو القصص تنتقل إلى الأسماع من افواه المنشدين والرواة.

لم يقتصر شعر "تيريز" على الغزل والحب وأحوال المحبين والعشاق ووصف الطبيعة وحسب. بل جاوز ذلك إلى الأوضاع السياسية والاجتماعية وتاريخ الأمم الغابرة وإلى تحريض الشعور الإنساني لدى الفرد والدعوة إلى افتعال المكرمات واصطناع المعروف. ومنتهى القول: إن شعر "تيريز" موسوعة شاملة تتسع لكافة أجناس النظم ولجميع المقاصد في أفانين القصيدة المنظومة بكل أبعادها واتجاهاتها ومناحيها.

إذا كانت الآداب هي مرآة الشعوب التي تنطبع عليها أوضاعهم الاجتماعية وأحوالهم الاقتصادية وتنعكس عليها آمالهم وآلامهم، أحلامهم ورغباتهم، أتراحهم وأفراحهم، مباهجهم ومسراتهم.. حركاتهم وسكناتهم، وكل نأمة في حياتهم.. فإن شعر "تيريز" ينطوي على كثير من هذه الحقائق في مسيرة الحياة الكردية منذ غابر الدهور وحتى الأيام التي عاش فيها الشاعر.

لقد رضُع "تيريز" من لبان العلوم والمعرفة وغذي من ثمار الشعر والفكر والسياسة من تلك الأيكة المورقة: جكرخوين وحسن هشيار والدكتور نورالدين ظاظا أيام إقامته في عاموده ومساهمته في جمعية "خويبون" .

لئن كان "تيريز" في شعره يسمو إلى أعلى درجات البلاغة في خياله وتأمله، وفكره ومواعظه فلأنه كان صادقاً في عشقه للوطن، صادقاً في حبه لأصدقائه وفياً لخلانه.. وليس من ريب في أن صادق الحب يُملي صادق الكلم. فمن شاء أن يبهج نفسه بالكلمة العذبة ويشنف أذنه باللحن المطرب والمعاني الرشيقة فليعد إلى الأصل الكردي.

أعماله المنشورة:

١-**خلات** ديوان شعر- قدم له دلاور زنكي- من إصدارات بيروت- لبنان سنة ١٩٨٤م. وأعيدت طباعته عام ١٩٩٠م في السويد.

٢-**زوزان** ديوان شعر- قدم له دلاور زنكي. من إصدارات بيروت –لبنان سنة ١٩٩٠م.

٣-**جودي** ديوان شعر قدم له دلاور زنكي. من إصدارات بيروت –لبنان سنة١٩٩٨م.

٤-**طرائف كردية** جزء الأول- ترجمة الشيخ توفيق الحسيني إلى العربية- دمشق ١٩٩٦م.

٥-**المولد الكردي**.. قدم له دلاور زنكي. من إصدارات بيروت- لبنان سنة ٢٠٠٦م. نشر في موقع "تيريز نامه".

٦-**طرائف كردية** جزء الثاني- قدم له دلاور زنكي. من إصدارات بيروت –لبنان سنة ٢٠٠٩م. نشر في موقع "تيريز".

أعمال لم تنشر:

-"عدد من قصائد غير منشورة".

دلاور زنكي

قامشلي

1/8/2012

قبس من مشكاة تراتيل "تيريز"

ليس بالتبجح

أيُّ فضل للشعر إن لم يلهج باسم الوطن؟
أيُّ فضل للشعر إن لم يغرد بمحاسن الوطن؟
أيُّ أرب لي في شعر تَفِهٍ لا يمس إحساسي
ولا يشغل فكري؟

أيُّ أربٍ لي في شعر خاوٍ هزيل لا يزيح
عن الفؤاد همومه ولا يغسل النفس من الأدران
إنّ النظم إن لم يكن مرصعاً بالجواهر واليواقيت
ولم يتضّوع كالعنبر الفوّاح والمسك الأذفر
فليس شعراً.

الشعر إن لم يكن كالبلسم للجراح
والمراهم للعيون الرمداء
وكالسمن والفاكهة والأفاويه لأفواه الجائعين
الساغبين فليس شعراً
إن لم يكن الشعر كشدو البلبل الذي تتفتح له
البراعم طرباً وحبوراً فليس شعراً.
إذا الوردة ذوت
وصوّح لونها وذبلت واضمحلّ عبيرها

هجرتها البلابل، ولم تعد الأنداء تتألق
وتسطع على أوراقها.
فيا أيها الشعراء إذا قلتم شعراً فليكن شذى وشهداً وبلسماً.

الساقي

أنا ظامئ، صادٍ في هذا الصباح
فاترع الكأس أيها الساقي من سُلافة الدّن العتيق
واسقنيها صرفاً غير مشعشعة
سوف أعبّها في رشفة واحدة حتى الثمالة
بها أطفئ غليلي
وأشفي القلب من لواعجه.. والفكر من بلباله.
سأرشفها حتى أثمل وأنتشي..
وأنسى ركام أربعة وستين عاماً من الهموم..
فإن النشوة تعيدني إلى زمن الصبا
وتجدد أيام فتوتي.
أنا لست أهل سواك وأوراد
لكنني مدمن خمر وخدن شراب
دعني أيها الساقي سادراً في انتشائي
دعني أحاور الفلك الدوار وأعاتبه:
لِم تحمل لنا هذه الضغينة كلها؟
ولِمَ كان حظنا سيئاً؟
ألم تجد في هذا العالم من هم أقلُّ شأناً منا؟
لِم حمَّلتنا هذا الوزر كله؟
ولم أرهقت كاهلنا بهذا العبء الباهظ
الذي تنوء به صخور الجبال الصلدة؟

لماذا تركت الآخرين يسمون ويرتفعون،؟
وجعلتنا نهوي وننحدر؟ ولم تستجب
ذات مرة لدعائنا، ولم تبلّغنا أملاً
ولم تحقق لنا رجاءً قط.
أجبني أيها الفلك الدوّار كلما ألقيت عليك سؤالاً
قل لي:

أين "شير علي"، وأين "سيد رضا" وثورة درسيم؟
أين انتفاضة "الشيخ محمود" في ثورته المسلحة؟
أين المحبون... والعشاق؟
أين سيامند وخجي.. أين فرهاد وشيرين.
وأين مم و زين؟
أبيت إلا أن تفرق بينهم.
جعلت حياتهم أتون آلام وجحيم عذاب.
كان فرهاد عاشق شيرين
أما أنا فالعاشق الهائم بحب بلادي
أنا الشاعر الملهم والأديب الألمعي
أنا الكردي ذو الشهرة الواسعة
والمجد العريض.. أنا "تيريز".

أنا اليراع

أيها اليراع الظريف.. أيها الرشيق
يا أثير القلوب
يا ديدبان النواميس...
يا حارس دواوين الشعر.. وكتب التاريخ والأدب.
ما زلت تدوّن وتكتب منذ عهد: قالوا: بلى
وأنت – أيضاً – ألا تتعب وتكل مثلي انتحاباً وبكاءً
في ليلك ونهارك؟ تذرف العبرات دون
ملل أسىً والتياعاً على الأسرى والشهداء والبائسين
إنك تغزل غزلاً رقيقاً دون آه أو أنين.
إنني – منذ غابر العهد أدرك أساك وأحزانك
فليتني أنبئت ذات مرة بدائك العضال.
لجلبت إليك ذاك الطبيب الآسي "أحمد نافذ" من ضريحه.
وذهبت أسعى في جنبات الأرض، في جهات الدنيا الأربع
بحثاً عن عقار شاف وبلسم ناجع.
وأتيتك بلبان السباع في جلد لبوه
وسقيتك منه شراباً.
وانتزعت رحيق البراعم من مناقير البلابل
ولكن.. وا أسفاه لقد تفاقم سقمك
و أزمن مثلما تفاقمت علتي و أزمنت فلم يعد الدواء
يستطيع أن يدرأ علةً

ولم تعد التمائم والتعاويذ والرتائم تجدي نفعاً.
لنتحد ونتعاون أيها اليراع ما دام داؤك ودائي سواء..
وما دامت علتنا واحدة.
وسوف نشن- في هذا الطور من التاريخ،
حملة شعواء على أعداء الحرية والصاغرين.
إن أعباء الوطن باهظة وقد حملها
تيريز على عاتقه فماذا عساه أن يقول.

الوطن

فداء لك المهجة يا وطني
فلا تلق عليّ باللائمة
إنك تعلم أنك شاغلي في ليلي ونهاري
ما سطور قلمي ونقوش يراعي سوى اسمك
العذب يا وطني
أئن وأترنم كالبلبل لاهجاً بالثناء عليك
إن كان الناس قاطبة يحبون متاع الدنيا
ويعشقون العيون الحوراء. فأنا الصبُّ
الهائم المتدله في حب جبالك وسهوبك
وسهولك وصخورك. و وهادك وروابيك
أنا هتاف الحجل على جبالك وغصون أشجارك
أنا قبّرة جبل "متين" و"باز" هكار
أنا زقزقة الأطيار في الحقول والبساتين والكروم
وأنا الشحرور في غاباتك ورياضك
أنا الأنسام المهفهفة في الأسحار.
أنا خرير الجداول والأنهار
أنا الأحاديث التي يتناقلها الناس
وأغاني الحب على شفاه العذارى حين يحتطبن
أنا دعاء فلاحيك
وهتاف رعاتك
أنا زئير الأسود ومواء الفهود وعويل الوعول

وصراخ البط والكركي لدى ضفاف أنهارك
أنا أوتار طنبور "شفان" الصداحة
بألوان من الألحان.
أنا عذوبة أنغام ناي "مم" الصادر
من جذع شجر الحور.
أنا زينة وحلية العذارى في حلبات الرقص.
أنا "الشال" وال"شابيك" على
قامات فدائييك ومغاويرك.
أنا صوت الأهازيج والأغاريد وإكليل هامات العرائس.
أنا صوت الموسيقى لأعياد النيروز في آذار.
أنا جمال الورود في أخضر الألوان وأحمرها وأصفرها.
أنا ألق ألوان الراية الزاهية، الخفاقة
في أعالي قصور ملوكك وأمرائك.
أنا مصيف شِعْب "علي بك"
أنا أدغال ومروج "شقلاوه"، وغابات "بروار".
أنا الماء والشلالات المتدفقة من الينابيع
وثلج "سيباني خلاتي"
أنا الغدير والجدول.. ومنابع اللجين.
أنا الشعاع المتوهج في قلب الدنيا
أنا القنديل الساطع في براريك ومدنك وأريافك.
أنا آيات "زند أفستا" في جبل "لالش"
أنا كاهن النار

أنا فلسفة "مزدك" وتصاوير "ماني"
ونقوشه وزخارفه.
أنا مدماك قصر "سرجخانه" وسور "آمد"
أنا حصن "ماردين" وقلعة "دارا" مدينتيك
أنا العُمد والأساطين والمداميك في
الجسر القديم على نهر "دجلة".
أنا أطلال وبقايا "برجا بلك"..
أنا حُسْنُ مدينتك تلك.
أنا اليوم الأديب والشاعر على ثراك يا وطني
أنا الخطاط المجوّد. أنا كاتبك الرائع
لقد غدا قلبي اليوم مرتعاً وموئلاً للهموم والأسى.
أنا "تيريز" باق على العهد ما دمت حياً يا وطني..
وإلا فإني المذنب في حقك يا وطني.

لقد أينع الربيع

ارفع هامتك أيها النوّام الكسول
تُرى أغارق أنت في سبات مطبق أبدي!
إن الدنيا في رأد الضحى.
فمتى تستفيق من هجوعك؟

لقد تيبست خاصرتاك من طول رقادك
على "المرش" و ال"كلاف"[٤]
غافل عن الفلك الدوّار.
ها هم الركبُ قد رحلوا

وعبرت القافلة إلى ضفة الحياة
وأنت وحدك مازلت بين الماء
والحمأ المَسْنون.
ها هي السماء صاحية
وقد ولى البرد والقر
وأدبر زمن هدير الرعد.. وانقشعت الغيوم.
لقد أمرعت الحقول والسهول
وأورق الشجر
فإذا الأزاهير متلألئة

[٤] -ضرب من البسط المصنعة باليد.

ببريق الطل وومیض الندى
لقد تزوقت الطبيعة وتأنقت وتألقت
وارتدت حللاً من صنع الربيع
واتخذت حليها من براعم الرياحين
وترصع هاماتها بالورود.
من الرياض يفوح الشذى
ويعبق المسك الأذفر
ويتضوع الكون بالطيب والملاب
ها هو ذا البلبل يشدو ويرتل
وها هو ذا الشحرور يسترسل في التغريد والنشيد.
ترانيم الطيور تشجي الكبد والأحشاء
وتغسل أدرانها.
فما لك ساكناً لا تبدر منك نأمة؟
فهل أنت أبكم وبك صمم.

انهض .. وتأهب أيها البائس ويمم شطر الحياة..
ولقد تفشت الحرية بين الأمم والشعوب، فإن تقاعست
وسهوت عن حقك دهمتك الأمواج
وذهبت بك بدداً. ولبثت لا حيلة لك.
إن الصيد لا يأتيك بالترجي
ولن تتناول القنيصة بالدعاء والتمني
إن الفرصة الذهبية سانحة، فتشبث بها

ولا تدعها تفلت من بين يديك.
فإذا ولت وأدبرت لم تنفعك الآمال والأحلام.

البلبل الجذلان

تعال –أيها البلبل السعيد- اهتف
اعباؤنا باهظة وجراحنا مثخن عميق
فداء لك القلب والكبد وكل الأحشاء
إنّ صراخك أعذب من رنين الناي والمزمار
من تغريديك تنبثق ثلاثة ألحان
اللحن الأول: تنفس أنسام السَحَر
واللحن الثاني: حفيف أشجار الكروم والغابات
واللحن الثالث: نفحات "الشمام"[٥] والورود
لهذا –كنتَ- مشهوراً ذا صيت في هذا العالم
ها هي قافلتنا سائرة في ليلة داجية باردة
تتساقط فيها الثلوج والأمطار
ومازال طريقنا –يا صاحبي- طويلاً والمسافة شاسعة
تحدق بنا اللصوص وقطاع الطرق من كل جانب
وا ويلتاه إنهم يفرقون بيننا ويشتتون جموعنا
لقد خلت الساحة للدببة وبنات آوى
وعواء الذئاب. والضباع والثعالب
إنزل من عليائك –فَديْتك- أيها البلبل
واصغِ إليّ.

---

[٥] الشمام: ثمرة من فصيلة البطيخ الأصفر ذات خطوط وألوان صغيرة الحجم ذات رائحة زكية.

إن الدنيا دولٌ وأطوار
لقد بزغت لنا نجمة الصباح من الشرق.
أضاءت "كردستان" طولاً وعرضاً
إنها آية فرج قريب
آمالنا معلقة دائماً بزعيم "بارزان"
"إن الحياة نضال وجهاد"
كما يقول "تيريز".

الكركي

"كان وما زال للأكراد الرعاة –كوجر- موقعان للانتجاع وطلب الكلأ والرعي لمواشيهم يتنقلون بينهما حسب فصول السنة الـ"كرميان" وهي الأماكن الدافئة والـ"زوزان" هي الأمكنة القريبة من الجبال وتكون باردة المناخ. وفي هذه القصيدة يخاطب الشاعر كركياً يحلق في أجواز الفضاء معبراً عن شعوره راجياً أن يحقق له أمنيته لأنه ذو جناحين، وحرّ طليق يستطيع الذهاب إلى حيث يشاء ويريد".

يا كركيّ مالي أراك صارخاً
آتياً من الـ"كرميان" مرفرفاً بجناحيك
محلقاً في السماء متوجهاً إلى الـ"زوزان"؟
إن دربك أيها المتعب المنهك. أيها المنقطع عن سِرْبهِ
المتخلف عن ألاّفه وخلانه- طويل والشقة
نائية..
وها أنت دائم الهتاف في إثرهم
إن صوت ندائك واستغاثتك
أيقظ كوامِن أشجاني وأحزاني
نكأت جراح القلب. أيها البائس:

تُرى هل سفعتك أو آذتك رَمْضاء "كربلاء".
وأنت في موطن الآباء والأسلاف؟
في وطن الثلوج والأمطار
وطن الماء والينابيع
وطن الأنهار والشلالات.
وطن الزهور والرياض
وطن المروج والواحات.
موئل الأبطال والصناديد
أرض النفط والمرجان
مربع البلابل والبزاة
والبط والشحارير
خِدْرُ الحسناوات والغانيات
عرين الليوث ومسارح الأيائل والوعول
أرض الثمرات والخيرات. والبحيرات.
مهد "ميديا" و "ميتان"
أيها الكركي
لعلك عاشق ولهان
تسعى إلى رؤية الحبيبة
والخروج معها للتنزه في حدائق الزهور
وبساتين الورود.
لك البشرى أيها الكركي:
إن المزار ليس ببعيد.

بخفقة جناح وأنت بين الأرض والسماء
تصل إلى مبتغاك. وتلتقي بالأحبة
أما أنا فبائس وشقي
ولست مثلك ذا ريش وأجنحة
حتى أصل إلى ربوعهم
فنقعد معاً في بهجة وسرور
لدى أشجار البطم
ناشدتك الله (أيها الكركي).. يا كركيَّ
أن تتريث قليلاً كي أفضي اليك ببضع كلمات
يا حبيب قلبي ومهجتي.
إن سائراً إلى "آمد"
فحطّ برشاقه عند شاهدة ضريح الشيخ سعيد الكردي
واهتف واستصرخ لدى الضريح
كي يأتي الشهداء ويحفوا به
بلغهم تحياتي وإلى خلانهم وأحبائهم.
وانقل سلامي إلى أكراد "آمد" الملونة الزهراء
إلى الذين زَجّ بهم في الزنزانات والسجون
في سبيل الأمة.
وإن مضيت إلى "مهاباد"
فحطّ بين أضرحة الشهداء
وترحّمْ عني على "قاضي محمد" و "سيفي".
وإن كنت طائراً إلى "سرحدان"

أو إلى "درسيم" و "ساسون"
أو زوزان "شرف دين"
أو جبل "آكري"
فحيي الأكراد جميعاً
الرجال والنساء والفتيان والفتيات
وبُثُّ حنيني لكل صرح وبرج
وكل قصر وإيوان
على أرض كردستان
وقل: إنّ "تيريز" يلهج دائماً بأوصافك
فماذا بوسعه أن يصنع سوى ذاك
فهو حائر ذاهل جراء تقّلب الأيام.

العمر الذي انصرم

واغوثاه... واحسرتاه..
لقد ألحّت عليّ الآلام وأحدقت بي الويلات
وتفرعت أفنان الأوداء في القلب
واستحال ربيعي كشهر آب قيظاً
وذوت مروج الروح والقلب.
وذبلت مساكب الورود
ذوت الواحات والمروج
فلم يعد فيها طائر.. فما يسمع في تلك الرياض
صداح بلبل ولا ترانيمه.
لقد غابت عنها الشحارير والبلابل
وطائر "البازي"
وهجرها القمري والكركي والشاهين
يا "تيريز": كفاك استغاثة وصراخاً
فإن الماضي لن يعود
ولن تعود أفراح القلب إلا كسنوات عجاف.

ضوء القناديل

أنا - في حلبات العشق-
الرائد في حلقات الرقص
أنا شاعر الطبيعة
أنا الخلاخل والأطواق والدمالج الذهبية
أنا الحلى ذات الألوان
أنا العارف.. أنا بائع الدرر والجواهر
أنا واصف محاسن الحبيبة
أنا في الليالي داجية مثل قنديل
أنا الشعاع في ذيالة الشموع
ولكن.. وا ندماه.. لقد وقعت في شراك السمراوات.
لقد صادتني تلك الرقيقة اللطيفة
وطوحت بي ما وراء جبل "قاف"
في أرض مقفرة دون ماء أو طعام
فأنا ضائع، مسلوب الإرادة
لقد أضاعتني ذوات الوجنات الدرية
فأنا تائب توبة نصوحاً عن حب السمراوات
وأنا المبدّد المتبعثر
إن العشق بحر

ليس له قعر.. فكن منه على حذر
إني العاشق الخجول
أنثر جواهر الحكمة
وأضرب الامثال دون ثمن "مجاناً"
إن العشق نار فلا تلقينّ فيها نفسك
وإلا قُضي عليك
إني ناصح المتعلمين.
فلن يسعكم أن تكونوا مثل "تيريز"
فها قد هرمت واشتعل الرأس شيباً
وما زلت رقيقاً مملوكاً
أسير الشراك.

الزورق والقارب

مرة أخرى رمقتني بلحا تلك الحوراء
قوّضت أبراج قلبي. وضعتني في يد الأقدار
فدارت بي في الأسافل تارة وفي الأعالي طوراً
ذهبت بي حيناً إلى "سيبان" و "طور"
جور الحبيبة ليس كمثله جور.
فإذا القلب دائم الشكوى والهتاف
كأنما تحاصره جيوش التتار
القلب دائم التحول
فهو اللهيب حيناً ورماد حيناً
ونار "زرادشت" طوراً
وقد يكون شمعة وبعد حين فراشة
ربما كان الـ"دشت" أو "الزوزان" فيما بعد
أو وادي"زيلان" أو "قوج كري" أو "تندورك".
القلب قد يكون بلبلاً أو شحروراً..
ناياً أو "طنبوراً"
وهو "دجلة" زمناً و الـ"خابور" زمناً
إنه الصقر وبعد حين النسر
أيتها القاسية القلب.. لقد جعلتني دريئة

تلك النظر.. إرأفي بالمهج
ولا تجوري على "تيريز".

مدنفٌ أنا

يا مهجتي إنني معتل سقيم جراء حبك
أنا المهوّس المتحيّل دون رؤيتك
فافتحي تلك النافذة مرة
وارفعي السجف المسدلة الصفيفة
إنني عاشق الوجنتين الورديتين
والمقل الحوراء
اليوم بسبب غرامك تركت مذاهبي
عزفت عن الكنيسة والمسجد معاً
وها أنذا أسربل بدني بالخرقة والنطاق
مثل صوفي زرادشتي لدى بوابة "لالش"
طيفك ماثل أمام باصرتي في ليلي ونهاري
قربك فردوس ودار نعيم
ونأيك نار وسعير
أنت اليوم كل بغيتي في هذه الدنيا
يا ابنة الحوريات.
أنا الفراشة الحائمة حول
الشمعة المتقدة.
أنا "فرهاد" العاشق المغرم

وأنت لي "شيرين"
أنا البائس مثل "مم"
وأنت اليوم مثل "زين"
أنت لست سوى "خجي" في "سيباني خلاتي"
وسيامند المغوار في الليالي الداجية.
أنا الدرويش السائح في أقطار الأرض
سادراً هائماً كالمحسوسين المسعورين.
باحثاً عن دواء لجراحاتي.
عبثاً انصرمت أعوامي الخمسون
وغدوت هرماً.
فأنا بالعكازة أسير
أقسم بتلك العهود والمواثيق
وإن طالت الشقة
لن أقنط من نفحاتك يا مهجتي
ما أعذب جورْك وانت تعاقبينني
آه.. يا لشقاء "تيريز" في هذه الدنيا
وسوف أظل بائساً شقياً ما دمت حياً.

العروس المتوّجة

إن "زوزان" أحب إليّ من ارتداء
مطارف الخز والديباج.
أحبُّ إليَّ من الجلوس على الأرائك الوثيرة
الصدفية في وسط الفراديس.
إن كوخاً –في وطني – مشيداً من القش
والعيدان أحب إلى من برج بابل
إنْ ظمئت ظمأ الحسين الشهيد في كربلاء
فإنَّ كأساً من ماء "بينغول" أعذب
وأحب لدي من ماء "الكوثر"
وحفنة من تربة بلادي حين أستافها
فتزيل أشجاني أحبّ إليَّ من المسك والعنبر.
وحصى جبال "درسيم" و "ساسون"
وصخورها أحب إليّ من الماس والدرر واليواقيت..
جبال "متين" و "سرحدان" أحبُّ إليَّ
من "افرست" و "هملايا"
إن "الفرات" و "دجلة" و "الخابور"
أحبَّ إليّ من "النيل و "مرمره".
وفتاة "كردية" بحليها وحللها أحب إليّ

من "زنوبيا" وتاجها.
***
فليتقول المتقولون
ويرجف المرجفون
ويحقد الحاقدون.. كما يشاؤون
فإن القافلة إذا سارت لا يضيرها
نباح الكلاب.
لست أضمر الضغينة لأولئك الحاسدين
ولا أطوي احنائي على بغضائهم.
فأنا المهذب المتواضع
والأديب المترفع عن الصغائر
ولست ضئيل القدر
إنهم يتهافتون عليّ بعدائهم
ولكنني "تيريز" أعرض عنهم
وأضرب عنهم صفحاً
ولا أبالي بهم
إن صدقت مزاعهم
فليجا بهوني في ساحة الوغى
إنني "تيريز" لست خامل الذكر
فأنا في "فارقين" نجل "باد-pad"
وأخو "يادو" الدُميلي.
ورئيس قوات الفرات

وجنديّ "إحسان وجبري"
في "بدليس" طوراً وحيناً في "مدياد"
أنا الثائر.. أنا الجائس في الدجى.
أنا "بشمركة" القاضي
في جبال "زوزك" و "برزان"
إنني من مدينة "مهاباد"
وفي "سيباني خلاتي" أنا "سيامندي سليفي"
وأنا في وطن العشاق "مم" و "فرهاد"
في "رأس السنة" وفي "أيام النيروز"
سأدأب على إضرام نار "زرادشت"
على ذرى "سنجار- شنكال" و "زاغروس"
وفي "هكار" و "هولير"..
وأنا عرّاب "العروس المكللة" الأكبر
وفي مضمار السباق فارس حصان "طروادة".

إشراق الحبيبة

مدنف أنا مترع باللوعة والأسى
مكلوم الفؤاد جرّاء جفاء الحبيبة
إن لم أرها حينا بعد حين أظل
مشتت الذهن حائراً مذهولاً
مشوش البال.
إذا غابت يظل طيفها مرسوماً في مقلتي.
إن فديت الحبيبة بمهجتي فلن أندم
إن يبق في العمر ساعة فسأرهنها لدى الحبيبة
فما انتفاعي بالدنيا وبهجتها دون عشق الحبيبة؟
يكفيني من الدنيا نفحة من شذى الحبيبة
ولا ضير أن أحفى وأسغب
في سبيل هوى الحبيبة
لن أبتغي "شيرين" و "زين" بدلاً عن الحبيبة.
كفاك يا "تيريز" فقد أفنيت نفسك في الهيام بالحبيبة
وا أسفاه فإن الحبيبة لم ترضَ بَعْد.

طواف في كردستان

لَبدْتُ لدى الباب منتظرا
ترى متى ستأتي تلك الهيفاء الجميلة
فأرى مرة أخرى ذلك القد والقامة
صاحبة الحلي والحلل.. المكللة بالكوفية
انتظرت هنية .. وحين حضرت
خيل إليّ إليّ أن الشمس قد أطلت على الدنيا
انتصبتُ قائماً... امتنانا...
رفعنا الأيدي محيين..
آلت الدنيا كلها ربيعاً..
أشجاراً ورياحين وبراعم ناضرة
أخذت بيدي...سرنا
امتطينا مركبة فارهة
يممنا شطر جبال كردستان
كان يحف.. بجانبي الطريق
الزهور والورود والبساتين
كان السائق فتى رشيقاً
شهماً.
كان الطريق ملتوياً متعرجاً.
سارت المركبة متهادية
في رزانة و وقار..

سرنا – سواء إن كان سيرنا أمداً
طويلاً أو قصيراً.
ثم أدركنا المساء
ثم خيّم الليل
وتسربل المكان بالعتمة..
ولما توقفت السيارة سألت "السائق":
-أي مكان هذا؟ قال:
إنه : حديقة "زنار". بتنا هناك ليلة هانية
دون ما هم أو شجون .. فانتعشت الروح
ودبت في القلب الحياة..
عد انبلاج الفجر ايقظنا تغريد البلابل
وشدو الشحارير
كلما رنونا.. الفينا في كل الأطراف
شجراً ووروداً ورياحين وزهوراً.. ورياضاً غناء.
كانت أنسام السحر تسري عليلة منعشة
تنساب الجداول في خرير عذب ورقيق..
في سفوح تلك الجبال وشعابها
ينتشر حداء الرعاة يخالطه ثغاء الشياة
الخراف والنعاج والطِلّيّ والجدي
ترعى الكلأ وما هشّ عليها من اغصان الشجر
مكثنا هناك أياماً مفعمة بالبهجة مترعة بالمسرة
نستكين للجلوس حيناً ونتنزه حيناً آخر

من هناك خرجنا بقلوب متلهفة
متجهين إلى جبال "مازي"
إلى حصن الأكراد وقلعة الأبطال وفي المساء
غادرناها إلى ابراج "دارا" المطلة على مدينة الجزيرة
الزاهية المشيدة في سفوح الجبل.
بعد أن تجولنا بين المرابع والخرائب والأطلال
تُرى: أين هو دارا الآن؟
ذاك الذي كان يهيمن على سبعة أقاليم
ترى أين ذلك التنين الهائل؟
أين ذاك الصنديد؟ أين كسرى؟
أين ذاك "الديوان"؟ أين تلك الحشود
وذاك الجحفل الجرّار والعسكر اللجب؟.
كانت الهدايا تأتيه من مملكة آشور
من عاهل الطورانيين..
من بلاد الاسكندر
.... آه... اين تلك الأيام..
أين رجال تلك العهود.. واأسفاه
لقد أودى بهم الزمان.. فما بقى منهم أحد..
فنحن اليوم بائسون.. لا حول لنا ولا قوة
ودنيانا ليست سوى زنزانة.
غادرنا "دارا" بقلوب مكلومة
ساعين إلى "آمد" المرقشة

عاصمة "الكرد" ذات الشهرة والصيت.
مدينة الفتيات ذوات الضفائر الحمراء
مدينة الفتيان النبلاء
كنا نخاطب ميديا:
... يا آمد يا عاصمة الأكراد
أين الميديون البواسل... أين دولتهم؟
أين اولئك الأبطال أين اولئك الصناديد المغاوير...
رافقنا رجال اشاوس.. كي نزور ضريح الشيخ سعيد
وضريح فؤاد وخالد وآختي
الذين استشهدوا فداء للوطن.. ولدى رموسهم
ذرفنا العبرات.. واطلقنا الآهات
أقسمنا بأضرحتهم أن لا نحيد عن نهجهم
او ننحرف عن سبيلهم
انهضوا كسالف عهدكم وألّبوا حولكم الفتيان
قاوموا جيوش الروم..
ها هي البومة تنعب في الاطلال
وينعق الغراب حيث كان البازي يجثم فيما مضى
أيها المطربون .. اقرعوا طبولكم
حتى يثمل فتيان "زازان"
طهروا ارضكم من رجس الغاشمين
خلفنا وراءنا مدينة "آمد"
واتجهنا إلى مناطق "سرحدا" و"الزوزان"

ومن هناك سافرنا إلى جبلي سيبان وخلات
والى "خانا لتريه" و شِعْب سيامند
سالنا ذلك الوادي الضيق السحيق ..
أين هو سيامندي سليفي .. اين ذاك الأنين والآهات؟
أين ذاك الوعل البائس الجريح؟
ترى أين هي "خجي" تلك الفتاة المهذبة ..
أين شجرة اللوز؟ أين ذاك الآثم؟
أين ذاك الشقيق.. أين الحبيب؟
أين ذاك الأليف... أين ذاك الجواد
واللجام والعنان؟
سمعت هاتفاً آتياً من اعماق الوادي.. قال:
لقد أدبرت تلك الأيام الرضية وولت..
لقد مرت عليهم أحقاب طويلة فإذا هم صامتون هامدون.
اسأل مرة العلماء عن تاريخ الكرد.
اسأل أمين زكي والدكتور كاميران والعالم الاستاذ هشيار
وكل ذي معرفة.. اردنا أن نبصر اضرحتهم..
كان الثلج يغطي كل الاشياء.. فلم يبدُ من الاشجار إلا افنانها
وبدا سيبان أبيض ناصعاً كالبيضة..
أنسانا البرد القارس فتوجهنا إلى مدينة "جزيرة"
مدينة هادئة لا تحس فيها حراً أو زمهريراً..
تكتنفها الغابات وأشجار الصنوبر "كنير"..
خرجنا مع كوكبة من الفتيان والفتيات لزيارة ضريح مم وزين

كان مكاناً نائياً مواراً
على شفا واد.. فتناهبتنا الحسرات وقلنا:
آه أين هو مم وأين هي زين؟
أين هو "أمير بوتان" وأين تلك المرأة الحيزبون؟
وأين "ستي" وأين "تاج الدين"؟ أين كوركين ذاك الفتى العتيد..
وأين "جكو" و "عارف" أولئك الرجال البهاليل.. أين زين الحسناء..
أين مرابع لعبهم أين النرد والشطرنج.. سمعت هاتفاً.. كان الهاتف "زين"
يا سيداً اهلا بك.. إن كنت حفياً بنا نحن العاشقين الشقيين..
فقد لاكتنا الأفواه وتردد اسمانا على كل شفة ولسان وطار بذكرنا الركبان..
ولكننا في السماء أحتفي بنا وأُقيمتْ من اجلنا الأعراس...
بعد ذلك غدونا إلى حجرة "الملا الجزيري" بقلوب كسيرة
كانت غرفة خاوية باردة.. مهجورة.. لا ترى في الداخل أو في الخارج أحداً..
حدثت الفرقة البائسة:
أين هو الملا واين العلم .. أين رائد الأدب كبير العشاق..
سمعت صوتاً مفعماً بالأسى والأنين والتألم:
-هذا سؤال لم يسأله أحد قبلك. لم يسأله عالم أو روائي أو شاعر أو قاريء.

عليك بالسؤال من تقلب الدهر ومن صخور الجبال
ومياه الأنهار.. إنها ستمنحك الخبر اليقين.
وكفاك يا تيريز هذا الحزن والهم.. وعلى هذا الصراط
مضى –مثلك كثيرون من الأدباء والشعراء والعلماء
ولكنهم لم يبلغوا نهايته... ولم يلمّوا بمعرفة عن الفلك الدوّار...
ثم خرجنا إلى "برجا بلك" لدى الشط.. فقلت متحسراً:
أين ذاك العهد.. أين التاج والعنفوان؟
أين الأمير بدرخان؟.. أين الرهط العظيم ..
أين الوزراء.. أين المليك المغوار.. أين .. اولئك الرّحّل "الكوجر"..
أين تلك الوعول والغزلان.. والصيد؟.. أين تلك المسرات..
أين افراح نوروز.. أين الصناديد، حاملو "الكُرز" والسيوف؟..
أين قطعان الشياه؟ أين الرعاة، والفتيان والفتيات؟..
أين الربيع اليافع الأخضر والزهور والحلاّبات؟.. أين التنزه..
لقد ذهبت وتركت لنا هذه الاحزان والآلام
يا لزماننا البائس.. حظوظنا سوداء بلون "البلبل"
فانتحب يا تيريز وتأوه في كل حين.. واسكب عبراتك كالأنهار..
حزناً وكمداً لما ألم بنا من نكبات الدهر..
دوّى البرج وانتشر هزيمه من ذروته حتى اسافله ..
وأنَّ أنيناً متصلاً وسمعته يقول: لقد أسرعت في سؤالي

وهيّجت همومي وأشجاني. ولم أجد من يلقي عليّ هذا السؤال سواك..

لقد ذوت بي البروج.. لقد مضى الطاحون إلى شأنه ولم يبق منه سوى جعجعة

وهدير.. وانك لتعلم علم اليقين انني كنت برجاً لي ملك واكليل..

كان في الشرق الأوسط عاصمتان كنت احداهما في ذلك العهد..

كان قيصر الروم وملك خوارزم يطأطئان لي الهامات لدى عتباتي.

من البحر الأبيض حتى تخوم العجم في صنعاء وآستانة
ثم نأت عني تلك المحافل وولى اولئك الامراء
واليوم أئن بين يدي الغاصبين الذين أحالوا قصورى
ومعاقلي اطلالاً وخرائب.. بدلوا شياتي وغيرّوا ألواني..
تهفهف على صروحي رايات الترك..
وقبيل أيام العيد خرجنا إلى "بايزيد" حيث
كان موطن "ملا أحمد الخاني"..
هب إلى لقائنا الاصحاب والخلان صغاراً وكباراً

فتياناً وفتيات.. واحتفوا بنا واكرموا وفادتنا.. ذهبوا بنا إلى بيوتهم.

الفينا ضريح "الخاني" فوق رابية عالية..
صعدنا فوق الرابية حفاة وفي أيدينا باقات الورود..

القينا على الضريح الورود ووقفنا امامه بخشوع وورع مطأطئي الهامات.. مكثنا
هكذا أمداً- حتى دهمنا العياء والفتور وكلت أبداننا اجلالاً..
ثم احدقنا به جالسين وقلنا:
عبئك الباهظ ما زال يرهق الكواهل..
قضيت نحبك وهم الوطن حسرة بين جانحيك..
لقد أحييت الأدب الكردي وانعشت تاريخه
ودونت حكايته بالدرر واليواقيت.
اتاني هاتف فرن كصوت الناقوس.. أثار في قلبي اللواعج وأضرم النيران.. كان ذاك صوت الملا الخاني..
كان أحلى وأرق وأعذب من شدو البلابل وتغريد الشحارير:
لقد رسخنا قواعد الأدب وبنينا التاريخ الكردي فلا يجهلن احد قائلاً:
إن الأكراد همجٌ لا لغة لهم.. على الشعب أن يتخذ التعلم ديدناً في ليله ونهاره
ويرووا تراب الوطن بالدماء فأما الحياة وأما الفناء..
هنالك عاهدناه على الوفاء وأبرمنا المواثيق.. أقسمنا بدماء الشيخ سعيد
وبضريح "كريم خان" على أن لا نحيد عن هذا النهج (كردستان أو الفناء).
غادرنا مدينة "الخاني" وانحدرنا إلى الأراضي العليا ..
ذهبنا شطر ينبوع دماء الشهداء.. إلى "مهاباد" عروس الدنيا

فهاجت في القلب لجج اللوعة والتلهف والأسى كلجج البحار..
وزرنا ضريح "قاضي محمد" شهيد الوطن المضحي بنفسه عن الكرد..
احدقنا به جالسين وقلنا:
ها هم الأكراد متأهبون من جبال برزان إلى جبال "طور"
كفاك فانهض فهذا الزمن ليس زمناً للراحة والرقاد..
فلتحتشد جحافلك في مواجهة "العجم" ..
وهذه جيادنا تصهل وهذه خيولنا تحمحم تحفزاً لخوض المعركة..
ومن قرط همومنا ولواعجنا توجهنا صوب "ناف بردان"
ثم سرنا إلى مدينة "كلالة" موطن البرزاني عاصمة الكرد
مكثنا أيامناً نجوس بين السهوب والجبال
وكنا نرى على مدّ البصر رجال البشمركة يرصعون تلك البقاع..
ثم قصدنا مدينة "خانقين" و "كلي علي بك" و "شنكال" و "همرين" ..
ثم عرجنا في خاتمة المطاف إلى "مرج شماموك"
بين هضاب وجبل "سفين" .. لاحت لأبصارنا أعالي "رشكوتان"
وبلغت اسماعنا أصوات ثغاء الحملان والنعاج
ودغدغت خياشمنا روائح زهور الربيع وورده مع أنسام الصبا...

في الطريق التقينا برجال ونساء فتذكرت اشياء جمة..

تذكرت ضريحي "جوان وكزي" البائسين اللذين قصرّت المنايا أعمارهما..

ذهبنا صعداً في الجبل وفي أيدينا ورود خضراء وحمراء وصفراء..

وعندما بلغنا ضريح العاشقين نثرنا عليهما ما حملنا من زهور وورود...

رنونا طويلا... وتأوهنا من الأعماق.. يا لغدر الأيام..

فقد فرقت بينهما بعد هنيهة من الرخاء ونهزهة من الفرح..

يا للزمن الخؤون أين هم العشاق.. أين العلماء والأدباء أين الصناديد..

لقد مضوا إلى مصيرهم المحتوم.. فإن عزرائيل لا يقاوم

إنه يقتحمنا عنوة وجبروتاً.. وبعد أن علمنا

ان الدنيا عرض زائل وليس لها من خل أو صديق..

غادرنا جبل "سفين" عائدين ادراجنا إلى ديارنا... هذه بعض درر وجواهر..

أخرجها تيريز من بحار الفكر.. اضاء بها جانباً من قصة الوطن.

بهجة القلوب

هذه الخميلة الغنّاء هي لي
مزدانة برمتها بالورد الأحمر والأصفر.
إنها تزدحم دائماً بالوان وضروب من الطيور
هي دائماً في مرح ولعب ولهو وخصام
فيها "بركة ماء"...
تنسكب منها ابداً الأنداء
لقد أبدع الصناع
ينابيع صغيرة
تنبجس منها قطرات ماء زلال
تحدق بها روضة ورد تسر الناظرين
لدى السَحَر
تترنم الاطيار وتصدح البلابل
غادية رائحة في انتشاء
إن يكن في الفؤاد مسرة
تكن الدنيا حلوة عذبة
وفي حضور الورد يكون البلبل
ثملاً مسروراً
إنه ليس مثل "تيريز" عاثر الجد
تعيساً شقياً
تذهله الهموم والأحزان.

فاكهة الوطن

أخرجي مرة من البرج
كي أراك
فأنا مكلوم الفؤاد
كي أقرأ تلك النقوش التي
أودعها فيك مبدع الكون
وأطرد الاتراح
شعرك الأحمر، قرمزي اللون
كأوار "زرادشت"
فؤادي ذاهل منتشٍ
سأضع سفوداً فوق تلك النار
أكوي به لواعج القلب
عيناك وحواجبك كلتاهما
أقواس وسهام
يضج القلب من الغارات انيناً
وتذرف العينان العبرات
وجنانك هي تفاح خلات
من فاكهة الوطن
شفتاك اللطيفتان الرقيقتان
كأس مدام
أو قارورة ماء وردٍ

أتعطر به في أوقات المسرات
والفرح. أنتشي بها حبوراً وابتهاجاً
كلا نهديك ينبوعان
أحدهما ينبوع نهر دجلة
والآخر ينبوع ماء الحياة
إن استطعت بلوغهما "كالخضر"
لجددتُ بهما شبابي
أيتها الحورية
أنت قبلة العشاق وغرضهم
أنت وثن "آزر"
سأمحق بوابه المعبد الوثني
وسأخرجك منه عنوة
أنا ابراهيم الزمان في أرض
الرها جسداً وروحاً.
أنا "آصف بذاتي" لو تلوت اسم الله الاعظم
لجلبتك إليّ مع برجك
أنت لي اليوم "زين" في مدينة "الجزيرة"
أيتها الملكة الأميرة
أنا اليوم خليفة "مم" الأسير في الزنزانة بائس تعيس.
فارحمي "تيريز" كفاك جفاء وصدوداً
أما يبلغ مسامعك صوتي الصاخب
بالعويل والنحيب .. فأنا كاهن العشق.

لست بازياً

لم أعد طامعاً في ود الفاتنات الرقيقات
فقد صرفت قلبي عن أولئك الغانيات الجميلات
لم أعد مهموماً حزيناً في هذا العالم
فلقد صرفت قلبي عن كل فكر واهتمام
لست قناصاً في فلوات العشق
فقد صرفت القلب عن الظباء والغزلان
لست بازياً ليُصادَ بي
فلقد صرفت الفؤاد عن تلك الطيور
لست –الآن- مم ولست عاشق زين
فقد صرفت القلب عن تلك الزنزانات والسجون
وما كنت "فرهاداً" عاشق "شيرين"..
فقد صرفت القلب عن تلك الخواتم واليواقيت
لست "سيامنداً" في "سيبان" هائماً مهتاجاً
فقد صرفت القلب عن "خجي" وأترابها.
لست ذاك المرء الطلق المحيا.. الكاتم للحقد
فقد صرفت القلب عن الأخوال والخالات
لست الفراشة الحائمة حول الشمعة المتلألئة
فقد صرفت القلب عن الشموع والقناديل
لست بلبل رياض الياسمين
فقد صرفت القلب عن تلك الورود والأزاهير

لست ثملاً على مائدة العشق
فقد صرفت النفس عن تلك الكؤوس والأقداح
لن اهفو –ما دمت حياً- إلى ناضرات الوجوه
فقد صرفت القلب عن اولئك الفاتنات الحسناوات..
لست درويشاً صاحب "كشكول".
فقد صرفت القلب عن التمائم والرتائم والتعاويذ
انني "تيريز" البار الأمين
وقد صرفت الهم عن تلك الكلمات الخاوية الجوفاء.

إلى دلاور زنكي

لك البشرى يا "جكرخوين" الكرد
أيها المعلم الخالد.. أيها المرشد الحكيم
فإن المربع الذي رحلت عنه لم يعد خاوياً
فها هو "دلاور" يمتطى حصان الشعر،
ويقوم مقامك
بعد رحيلك.
وها هو الأدب الكردي مزدهر كما كان
لم تخلُ منه أمصاره ومدنه.
لقد ناب عنك في حمل اعبائك الباهظة
فارقد أيها المعلم الكبير ونم قرير العين هانيء البال
فإن "دلاور" يرفع رايتك باسقة شامخة
ذاك الفتى النبيل الرائع.
ملك الحب،
المتربع على عرش العشق والجمال.

١٩٨٥/٦/٢٢م

يا بنيّ

يا ولدي "دارا" اصغ إليّ
فإنني ناثر على مسامعك درراً وجواهر
فلا تنسَ واحفظها عني
إن القافلة –يا ولدي البار- جادة في السير
تحث الخطأ فإياك أن تتخلف عن الركب
إياك معاشرة الجهلاء
فما يبدر منهم إلا كل دمار وفساد
ولا تصادق إلا الأبرار واتخذهم خلاناً
معاشرة أهل المعرفة والعلم
كلها حكمة وفطنة
لا تصدق أخبار الوشاة والنمامين على علاتها
يا ولدي.. واعلم يقيناً يا بني
أنهم قالوا ذلك مرتين..
إنك يا بني.. بكلماتك العذبة
وحديثك المعسول.
تستطيع أن تخرج الأفاعي الخبيثة
والعقارب الغادرة من جحورها.

العمر المنصرم

آه.. وألف آه واستغاثة
فقد أصبحت تحت وطأة الآلام والويلات
واأسفاه لقد منحت زهرة صباى
للهموم والأحزان...
لقد أفرعت أيكة الأتراح في قلبي
فإذا ربيعي خريف
ذوت واحة الفؤاد والروح
وذبلت.. مساكب الورد الحمراء
وجفت..
ذبلت مروج الفؤاد وواحاته
فلم يعد فيها صداح بلبل أو شدوه.
هجرتها البلابل والشحارير.. والكراكي والشواهين واليمام
وخوى من كلّ طائر غرد
فإذا هي موئل للبومة والعقارب
كفاك عويلاً وصراخاً يا تيريز
فليس من حيلة لعودة الأيام الهاربة
إن الأفراح والمسرات قد غدت في القلب كالسنوات العجاف.

النار المحتدمة

يا زهرة روضة العشق
يا نرجس طور خلات
أنت قبلة العشاق
من بين شفتيك
ينبع شهد وقند وسكر..
أنت بلسم للكلوم والهموم
جمة الفتنة طاردة الاحزان والأتراح
في هذا السعير يشتط جحفل الأسى في إيلام القلب
ها هو يحدق به من كل أطرافه
إمعاناً في قهره ودحره.
وانني – أيتها الحبيبة.. مفعم بالتوسل
مترع بالرجاء أن ترفعى عني هذا الأسر في رأفة ورحمة.
كفاك هذا الجور وهذا الجفاء..
وارأقي بنا مرة واحدة
اعتقي القلب... أريحيهِ
وأطلقيه من الزنزانة
فانا ما زلت في ميعة الصبا
وأرى الدنيا زاهية نضرة
لم يحل الغسق بعد..
فما زال اليوم في رابعة النهار

لقد آليت على نفسي -مادمت حياً-
أن أنعتك وأثني عليك
أيتها اللطيفة الرقيقة- حيناً بعد حين
سأشدو وألهج بمديحك كالبلبل
أتغنى بقدك..
أئن وأتأوه في الرياض
بين الأزاهير الملونة،
أنا في نظم القريض دون افتخار- استاذ
ولدى الغانيات الحسان
فأنا "تيريز" المغفل المجنون.

ليت الدهر كان ربيعاً كله

انهضي يا "كلي" ولنمضِ للتنزه والطواف
إنها سانحة العشق "فينكه"
في جبال كردستان
هيا ارتدي مطرفاً قشيباً من سبعة ألوان
وتزيني بحلي من الإبريز الميتاني
تجللي بنسيج "ارجنك"
قد خيط بنقوش "ماني"
واسدلي المنديل "الهبري" الدمقسي
على السوالف "الحريرية"
واعصبي حولها "الكوفية"
ذات الحواشي والأهداب
فلنذهب وايدينا متشابكة
الى سهب "روان"
ولنتجول في المدن والأرياف
مدينتي"موش" و "وان"
ولنمتع النظر مرة بالمروج والغابات
فهاهي الحملان والنعاج سارحة ترعى...
وتنورت الأفنان بالبراعم
ومن صوب الجداول والغدران
والروابي تنداح نسائم الصبا

وها هي الأغصان تهتز وتترنح
وكأنها في حلقات رقص وطرب
وها هي ترانيم الكركي والإوز
تصدح في الذرى
والبلبل يشدو شدواً عذباً
والسواقي والينابيع في غمرة من الخرير
فليت الدهر كله كان ربيعاً... وكان العمر أربعة عشر عاماً
كما يتمنى تيريز..
فلا يبقى لهذه الهموم والاكدار أثر.

الوردة الحمراء

رأينا حبيبتنا "المهجة" ازاء النافذة
وفي يدها باقة ورد
بسطت إليها كفى
مستجدياً "إياها" الوردة الحمراء
فقطبت ما بين حاجبيها
ورشقتني بنظراتها:
هذه الوردة الحمراء هي من روضتي
ولن أمنحها لأحد
يا عابد الورد
إن كنت ترغب في تلك الخضراء اليانعة
أو كنت ترغب في تلك الصفراء من الياسمين
فهيا تناولها وتنسم رياها
أيها الثمل البائس
إن كنت تشتهي ذاك اللون الكرزي
أو تلك الحمراء الباهتة
أو تلك البيضاء الظريفة
فلست أضن بها عليك
فضمها إلى صدرك بعزم وتوق
إن كنت تصبو إلى وردة نرجسية وقرمزية
أو كنت تهفو إلى زهرة قطيفة خمرية

فاذهب بها
سحقاً لك "لدغتك افعى سوداء"
إن كنت تريد زهرة سوسنية
أو كنت تروم زهرة الرمان "الجلنار"
ودعْ تلك التي لك فيها أرب فإنها من حر أموالي
كفى... تَربتْ يداك.
إن كنت تريد حزمة من "النفل"
أو ريحانة مزدوجة الأوراق
أو زهرة قرنفل
فخذها وكفاك تضرعاً
إن كنت تتمنى "الزهرة الليلكية"
فاختطفها واغرزها في صدرك وكن على يقين
يا تيريز من المحال أن تفوز بالوردة الحمراء.

موعظة

أصخ السمع إلى أحاديث العارفين
حتى يكون حصيدك درراً وجواهر
ولا تذرِ "غلالك" في مهب رياح الجاهلين
فتكون ثمارك علفاً للحمار "للدواب"
أمعن النظر يا شقيقي في "الطائر"
فكم هو مزدان بالصور والنقوش والرقوش.
إنه لدائم الخجل والاستيحاء
بسبب قائمتيه العاريتين
يا شقيقي: مهد الطريق لحديثك ثم تفوّه
ولتكن عجينة كلامك مختمره
فلا تخبز رغيفك على الساج دون ذلك.
متى أحسست هواناً أو لمست صغاراً
أو ضيماً في مكان فاهجره وارحل إلى موضع آخر
إن استطعت صموداً في بسالة
فلا تمت إلا عزيزاً تحت ظلال السيوف
ان ما يريح البدن ليس إلا الاستجمام
أو الرقاد والنوم
وشر ما يفسد المرء ويهلكه هو الازدهاء
والتباهي ونسج الاكاذيب.
حين ينهمر الغيث رذاذاً

فإنه لا يصيب الأرض بالبلل
لكنه متى دام واتصلت قطراته
صار فيضاً
وما المرء سوى حقيقتين
اللسان والفؤاد
كل دوحة تُسقى بالماء
إلا شجرة الحياة أيها الشقيق
فإنها لا تزهر ولا تتبرعم
ولا تثمر قط، إلا بدماء الفتيان
لا تشغل الفكر بسفاسف الدنيا
فإنها ستستحيل في القلب
الى منغصات وأدران
إن كل ذي ثراء وغني
لفي نصب وهم وتعب..
جاهد في سبيل عيالك
وإن كان أجرك زهيداً "رغيفاً واحداً في اليوم
فذاك خير لك من بسط يدك
اليوم- في ضراعة واستكانة،
امام أمير أو سلطان

حوار بين الأستاذ والفتاة

الأستاذ: أيتها الفنانة.. يا مهجتي
تعالي.. كي نتنزه..
وشاهدي –مرة- الرقص وحلقاته
الفتاة: ماذا أصنع بحلقات الرقص
والطبول وألحان الموسيقين
فإن همومي وأحزاني عميقة، غائرة
كوديان سيبان.
الأستاذ: دعي عنك الاشجان
وانبذي الأكدار والأتراح
ولنمضِ إلى ضفاف النهر[٦]
حيث تشدو البلابل
في الرياض
الفتاة: قسماً بحليب الأمهات
قسماً بهامات الآباء
لن أذهب أبداً إلى الأنهار
إذ ما أرب الفؤاد المتصدع كمداً
في مملكة البلابل "أرض البلابل"
الاستاذ: ناشدتك بجلال قدر "مصحفا رش"
وبالشمس والقمر والنجوم

[٦] -في الأصل إلى الماء.

أن لا تعيري الترهات
اذاناً صاغية..
وهيا نمض إلى غايتنا[٧]
الفتاة: قسماً ب"الخرقة" و "النطاق" و "الالش"
قسماً بالِهِرم المختفي "المخبأ"
لن أذهب إلى تلك الغاية "الميدان"
الأستاذ: اتوسل إليك بحسنك
أن لا تحرمني متعة النظر اليك
ولنخرج إلى مصيف "سيبان"
في أعالي بحيرة "وان".
الفتاة: لابأس.. سأكحل مقلتي الحوراوين بالإثمد
سأعطر الخصلات والسوالف بطيب الورد
وهذا القد الميتاني
وهذا الحلي وهذه الحلل
سأجللها بالمسك الأذفر
وريا الرياحين
الأستاذ: كم سرتني تلك الكلمات
وكم اسعدتني تلك المواعيد
ومن فرط مسرتي غدوت ثملاً.
كم كان ذاك اليوم رغيداً بهيجاً
مثل جنات كردستان.

[٧] في الأصل إلى الميدان.

الفتاة: قسماً بحسرات مم و زين
وبآهات فرهاد وشيرين
إني نادمة على ما بدر مني من قسم
فهيا نذهب إلى "النزهة"
الأستاذ: عادت الألفة بيننا
صالحتها وصالحتني
وتعاهدنا على المودة والصدق والوفاء
وصون العهود والمواثيق
الفتاة: ما شاهدت مثلك قط
كفاني ما خالفتك وعصيت رغباتك
ولن أبغي ب"الكم والكولوس" بدلاً أبداً
ولن اقبل بهما تاج شاه إيران بديلاً.
الأستاذ: كفاك أسى يا تيريز..
لازلت جذلاً فرحاً
لازلت خلي البال
فها هو الفلك الدوّار
يجاهرني بالولاء.

السفينة والقارب

مرة أخرى امتشقت نظراتها من تلك المقل الحوراء.
قوضت برج قلبي.. وطوحت بي إلى عجلة الأقدار..
ألقتني عجلة الفلك الدوّار هنا وهناك بين رفع وخفض..
وحيناً إلى جبال سيبان أو "طور".. فإذا أنا
في عالم مضطرب كقارب تتقاذفه "الأمواج"
ما تفعله بي الحبيبة.. لا يفعله سواها
فالفؤاد ابداً في هتاف واستغاثة
لقد أحاطت بالقلب من كل أطرافه
وطوقت جميع جنباته كجيش ملك التتار
وجدّت في العبث به فإذا هو كرةّ تارةً
وطوراً خذروف ومرة عجلةٌ.
يستعر القلب طوراً وطوراً يتقد ويضطرم
وحيناً يكون ناراً زرادشتية
وهو حيناً كزورق تتقاذفه اللجج
وتضعضعه الأمواج
وهو مفعم مرة بالقلق والاضطراب
حيناً يكون القلب "شمعة" وحيناً فراشة
وطوراً يكون سهباً
وطوراً آخر ليس سوى "الزوزان"
احياناً يستحيل الفؤاد بلبلاً وشحروراً

ومرة يكون "ناياً" أو يكون "طنبوراً"
قد يكون القلب "دجلة"
وقد يكون "الخابور"
ربما كان النسر
أو كان الباز الأبلق
آه منك أيتها الحبيبة الجائرة
إجتاحتني نظراتك
فارأفي بنا....
ولا تجوري على "تيريز".

العجوز وحماره

في الأصيل.. عشية يوم الجمعة... ارتديت ثيابي.. ابتغي التنزه خرجت من المدينة.. أسير الهوينى.. وفي الطريق التقيت برجل عجوز.. كان يمتطي حماراً يسير به خبباً.. كان العجوز يتجنبني..

ناديته: تمهل.. فتمهل وهو ينظر إليّ.

توجهت إليه ولما دنوت منه فإذا العبرات تترقرق في مُقلتيه.. حييته: طاب يومك.. وقلت له:

-لا يخامرك الخوف.. لماذا انحرفت عن الطريق؟..

... طفرت الدموع من عيني العجوز وخنقته العبرات ولم تصدر عنه نأمة وظل صامتاً.. لا ينبس بنت شفة بششت له وابتسمت .. فطابت نفسه قليلاً.. وتنفس الصعداء وساءلته قائلاً:

-أيها العجوز.. من أين انت آتٍ وإلى أين تمضي.

قال:

-لا ترهق نفسك بهذا الأمر يا ولدي .. إني على عجلة من أمري .. في هذا اليوم جلبت حملاً حطباً إلى المدينة على متن هذا الحمار وأنا مقوس الظهر .. بعته بثلاث "ليرات" لأبتاع طعاماً لإبني العليل...

تقدم مني جابي الضرائب هات رسم الميزان. أخذ مني ليرة وبقيت معي ليرتان فقط ثم تقدم مني آخر وهو يتأبط محفظة وقال:

-اعطني ضريبة "الاستهلاك" فأعطيته ليرة منها. ثم جاء "الجمركي" وطالبني بالرسم فأعطيته "الليرة" الأخيرة.

كنت قد ربطت "حماري" في الخان .. جاء صاحب الخان وطالبني بأجوره سلمته بردعة حماري وتركتها لديه رهينة عدت أدراجي متحسراً بائساً يائساً .. وها أنت ذا ترى حالي... ثم قال:

هذه هي قصتي .. فهلا أنبأتني باسمك؟

فتهدت وقلت له: إنني أدعى تيريز.

معركة ديكين

ذاك الديك الأبيض.. لا شية فيه
إنه باسل صنديد..
كان رشيقاً.. وسيماً..
يسكن في قنه..
كان القن مأواه وموئله
حيث عاش فيه أسلافه، آباؤه وأجداده
كان مشيداً من القش وأغصان الشجر
ومن عشرة صفوف من اللبن والطين
كان الكوخ في نظره مساوياً لعرش كسرى
يقال: عاش في ذاك الحي ديك الآغا
كان لعرفه أربعون شعبة
كان نزقاً سيئ الخلق شرساً
وكان أرعن مقداماً
قد ذاع صيت شجاعته
وطارت الأحاديث عن بطولته
أغار مرة على الديك الرشيق في عقر كوخه
شحذ الديك الشرس منقاره
واتقدت مقلتاه كجمرتين
فارتمى عليه من الأعلى ببسالة مثل الثعبان
و دونما خوف أو وجل تبارزا وحمي وطيس المعركة

كانا يصولان ويجولان
حتى دمي عرفاهما "حتى احمر عرفاهما"
تصادما وتصارعا.. تطاير منهما الريش
وفي خاتمة المطاف انتصر الديك الأبيض وفاز
قهر الديك الآغا ودحره..
وأثخن في جسمه الجراحات
ونتف كامل جسده ولم يدع زغباً
أو ريشاً...
فعاد ديك الآغا نادماً
مفعماً بالحسرات.. ولكن.. واأسفاه من غير ذيل
أو ريش.
فولى الظلم والطغيان
ولم يعد له زمان أو مكان
إنه الفلك الدوّار فلا تركنن إليه
فإنه متقلب لا يريم على حال...

ضوء الخزام

كيف أسهو عن هواك وأسلوك يا زهرة قلبي.
تيمّني حبك ودلّهني.. وحملّني هماً فوق همي
مقلتاك منبع الإثمد يا حوراء الألحاظ
كيف أنساك يا عزاء نفسي وسلوى فؤادي.
صدرك "مصحف" العباد والناسكين
وقد حفظت صفحاته عن ظهر قلب
الأنف الرخامي الأشم يسطع عليه شعاع الخزام
وعلى الوجنة الوردية خال كقطرة عنبر.
الخال أوثان "آزر" وأصنامه
الخال ذاك المعبد في جبل "لالش"
أيها العابد المتبتل.. أيها الناسك البائس
لن تبلغ الغاية دون سعي دؤوب وجهد وجد.
والصوفي –دون عمل- لا يرقى إلى مقام الولاية.
أيها الصوفي.. إن لم تكدح ليلاً ونهاراً وأنت
صادق النية.. صادق القول.. فاعتزل هذا المضمار
دون شكوى أو تذمّر.
من ليست له حبيبة غانية حسناء فما عرف
من دنياه شيئاً... إنه ليس سوى همجي، ومتوحش جبلي..
جلسة بين الحبيبات لا أبغي بها طائل
الأموال ونضار "سورعلي" بدلاً

ولا أبغي بها بغداد والفرات وممالك الشرق بدلاً
وقلامة من ظفر الحبيبة لا أبغي بها "الزوزان"
و "خلات" بدلاً.
يا سيدة الأبراج والقصور.. يا درية الوجنات
ارفعي هذا البغي والجور عن "تيريز".

حكاية "جوان Ciwan " و "كژي Kejê"

في الأزمنة القديمة، في الأيام الغابرة وُجَد في "آمد" أمرؤ يدعى "جوان" له شهرة ذائعة وصيتٌ واسع. كان كمياً مدججاً مسلحاً بالهراوة والمجن والحسام والبندقية كان صائد وحش يمضي الليل والنهار في الفيافي والسهوب والجبال لم يكن يصغي من الأصوات إلا إلى شدو البلابل يتنزه ويجوس بين الورود الحمراء كان شرابه –أبداً- ماءً فراتاً يقتات من قنائص الحجل والظباء وكان غافلاً عن صروف الدهر يعيش في هناء وحبور...

ولكن.. واأسفاه .. جافاه القدر. وقلب له ظهر المحن.. وتمزقت أشرعة سفائنه.. فغرق "جوان" في لجج الأكدار والهموم والأتراح علمت من الرجال الأوائل أن جوان روى قائلاً كالتالي:

كان الزمن زمن الربيع وكانت الجبال والوهاد والسفوح والسهوب والروابي والتلال قد أسبغت عليها حلة خضراء وازدانت بالورود والأزاهير من نرجس وياسمين ونفل و -دوّار الشمس- والقطيفة وبنفسج وكل ريحانة مزدوجة الاوراق.

في السَحَر الوردي تنتشر غلالة من ضباب ينساب منه رذاذ من الطل والندى على وجنات الورود والأعشاب وتشرق عليها أشعة الشمس فتومض وتلألأ .

الكراكي والبلابل والعنادل تشدو وتغرد وترن وتئن بأعذب الالحان .

النسور البلقاء واليمام والعصافير والشحارير تحلق وتدوم وتحوّم تروحُ تغدو

إنها منذ انبلاج الفجر في حركة دؤوب حتى حلول الشفق.

انصرمت أيامي وأنا اجوس في السهوب وشعاب الجبال اقتنص السباع واصطاد الأيائل والوعول.

كل ما دونته المقادير لا محالة كائن.

في باكورة الصباح تنكبت بندقيتي وقد أزمعت صيد الوعول وعندما كنت أجوب الجبال والبراري بحثاً عن دمن الوعول ومرابضها أرهقني التجوال فجلست على صخرة وعلى حين غرة أبصرت وعلاً جاثماً إزاء صخرة وفي أناة وهدوء جلست القرفصاء انتزعت البندقية عن منكبي.

سددت البندقية إلى وسط جبهته.

رأيت جداول الدم تتدفق من فمه

لم يمض من الزمن إلا القليل

هدأ الجرح وهمد الوعل فهوى الكبش عن الصخرة الشاهقة تقدمت متمهلاً وتناولت قوائمه.. وثقته بحزام بندقيتي ومضيت بالكبش إلى البيت وأنا جذل مفعم بالسعادة وأأسفاه لم ندر كيف ستكون خاتمة المطاف حينما أطل الجنود السود "بوجوههم الكالحة" من الشرق.

تكدرت محاسن الشمس وتشوهت.

حاربوا أمداً طويلاً وسفكت الدماء حتى جرت ك"نهر" الزاب مثل حرب رستم وأفراسياب.

سقطت اجساد من الطرفين لا تحصى
تكدرت صفحة الشمس وتبددت محاسنها
أسروا ملك الشمس "النور" وتوّج ملك الشر "الظلام" ملكاً على العالم. وعلق قناديله في كبد السماء أضناني التجول فلذت بالنوم رأيت في ما يرى النائم فتاة يضيء محياها كسراج متوهج أناملها من الشمع والأظفار صدفية.
كانت ربعة.. ذات بشرة ناصعة البياض وأنف أقني كمزمار الرعاة-
النظرات سهام والحواجب أقواس
الجبين بقعة ضوء
الشفاه قندٌ ينبع منها ماء الحياة
الاسنان كحبات الرز والثغر برعم ورد..
منكباها جبل هولير والجودي
على الصدر جنة "إيرم"
عليها "خال اسود" كحجر الكعبة
الجيد زجاج شفاف
الجسم غابة "برزان".. اينعت ثماره حديثاً يحار في وصفها ثلاثمائة لسان وسيهرم تسعمائة نفر قبل أن يحيطوا بوصفها تدنت مني وقالت:
-أيها البائس: لماذا أرديت ذاك الكبش العظيم.
رنت إلي ضاحكة جذلى:
-هذا ثأر للكبش المستضعف.

فسلبت مني الفؤاد برقة وجعلتني كالشيخ "الصنعاني" الذي مزق الطيلسان.. أسرتني حبائلها وصيرتني دريئة ضرباتها جعلتني أرعى الكلاب والخنازير.

تشبثت بأهداب مطرفها متوسلاً:

-هلا عرّفتني بنفسك؟

طوقتني بذراعيها وقالت في توق وشوق بعدما أكثرت من التضرع والرجاء:

-إنني أدعى "كزي"Kejê .

وأعْلم أن اسم أمي "بريشان"...

وكلش اسم والدي الصنديد "ثم أنها"

هرعت وغادرتني بخطى حثيثة وأودعت جسدي ألف علة وداء وفي الصباح حين استيقظت لم ألف إنسياً أو جنياً ولا الفتاة الآمدية وانتصبت مذعوراً مهتاجاً كمن به هوس وجنون حتى بلغ صراخي مسامع أمي وأبي فأتياني مهطعين. قالت لي أمي:

-افديك بمهجتي... ماذا جرى لك يا ولدي؟

حدثتها بما كان من أمر رؤياي فقالت:

-كفى يا جوان.. لقد أضرمت فؤاد أمك

إنني أئن آناء والليل والنهار مثل "مم"

منذ شهر لا يقر لي قرار صائماً عن الطعام والشراب لما في القلب من ألم. لقد غدا العشق والهم طعاماً والصراخ والآهات شراباً .

طيف "كزي" ماثل نصب عيني في الليل والنهار

الأنات موسيقاي وانـاشيدي

لقد اضحت دقائقي أياماً وساعاتي شهوراً.. لم تبق في جسدي بقعة من غير ما آلام وأدواء .

في أحد الأيام كنت أرتعد ألماً مطرق الرأس ولما شخصت ببصري وجدت امرأة عجوزاً فاعتراني منها خفر وحياء كانت جلابيبها كلها خضراء و زرقاء تفوح منها مائة ألف ضرب من العبق والشذى كان على رأسها طبق مترع بألوان من الأفاوية والعطور والتوابل كأنها حالينوس وقد نُشِرَ من رمسه يعجز أفلاطون أن ينبس أمامها ببنت شفة وليس أرسطو وسقراط وأبقراط سوى تلاميذ لهذه المرأة. كان هاروت وماروت قد لقّنا هذه المرأة دروساً في السحر كان في حضنها لوح "الرمل" .

يبدو النبي كتلميذ من تلاميذها قالت المرأة الحيزبون ورسمت حرف الميم والنون:

-يا جوان ... لقد تجلت لي رؤياك أنت الذي فتكت بقلبه المقل السوداء حبيبتك هي ابنة الأمير كلش سأنبئك الحقيقة:

إن آفتك هي من الكبش الذي قتلته

ناشدتك الله أن تسألني أمنينك

عليك منذ اليوم أن تذعن وأن تلبي ما أأمرك به دون تلكؤ

إنهض سريعاً واتبعني في حبور وسعادة ومحيا طلق. عندما حدثته العجوز بهذا المغزى افتر ثغره انتشاء وجذلاً

ذكرت المريخ وكواكب أخرى وأبراجاً

ظلت العجوز تدعو وتبتهل وتتشاغل بذكر الله وتتضرع وتتوسل إليه وجوان يتبعها مثل رقيق أو مملوك. "مثلما خرج "الياس الخضر" إلى منبع ماء الحياة وكما مضى إسكندر إلى مغارب الشمس.

عندما اقتربا من دار كلش التفتت العجوز إلى جوان المدنف وقالت له: .. إضطجع وتظاهر بالإغماء فانطرح جوان على الأرض وتماوت فجعلت العجوز تندب وتبكي وتنوح... وإذ ضجت العجوز بالصراخ والعويل جاء خلق كثير يستطلعون الأمر.. فأسف منهم من أسف ورثا له البعض وندبته نسوة.

كانت "كزي" بين الحضور ولما اقتربت منه ونظرت إليه عرفته فألقت سؤالاً على العجوز؟

قالت العجوز:

-ليس لي من الأبناء سواه.. إنه يشكو من سقم.

وفي كل شهر تنتابه الحمى مرة، ومن بين الأيام خرجنا في هذا اليوم كي نراك ونلتقي بوالدتك. كان ولدي هذا يتبعني وبغته سمعت صراخه ولما التفت اليه الفيته مغشياً عليه.

قالت "كزي" للعجوز:

هيا –تكرمي- ولنتعاون على حمله

حملتاه إلى بيت "كلش" ودثرتاه بلحاف وسجادة سوداء. بعد هنيهة كشفتا عنه الدثار. نثرتا على وجهه رذاذ ماء فوّاح بالشذى.

ناولتاه كأس عصير من السفرجل والتفاح.. تجرع الكأس فنهض واستوى جالساً.

خرجت العجوز وتركتهما فخلا لهما المكان وسرها أن تتفرد بجوان:

قالت شيرين لفرهاد:

-أيها الطيب القلب: إعلم إننا رشفنا فص خاتمك لا حياة لي من بعدك يا جوان "لست راغبة في الحياة من بعدك" مثلما قضى "مم" نحبه لحقت به "زين" نهض جوان وتوضا.. أقول هذا في إيجاز.. ثم انتصب قائماً متجهاً إلى القبلة ليقيم الصلاة ولما أدى (الصلاة) الفريضة قام يستلم الركن.. فلما تلمس الصدر المترف.. كشف عن تفاحتين يانعتين من تفاح "خلات"،.... ارتشف التفاحتين، ولم يبق فيهما بللاً ثم خر صريعاً "مغشياً عليه". على مرأى من "كزي" جاءت العجوز ورأته في حالة رزية فشجاها المشهد الأليم.. فنثرت على محياه شيئاً من ماء الورد.. تناولت يده ومضت به إلى البيت..

كانت كزي قد رسخت في صميم قلبه .. وعند بلوغه الدار ... لم يهدأ ولم يقر له قرار وسحّت عبراته كماء الفرات كأنما مياه "سيحون" و "جيحون" و "الزاب" تنساب من محجريه.

أيامه شهور ولياليه أعوام، تنقضي بين النحيب والأنين والآهات والصراخ.. وفي يوم من الأيام وهو يعاني الوحدة.. متحسراً.. تنهشه الأشجان

جاءت إليه العجوز.. حيته وسلمته رسالة.. كأن منتشياً من الفرح فرحّب بها ترحيباً عظيماً.

كأن ابنة عمران تسترد فلذة كبدها من دار فرعون:

أو كأن قميص يوسف يلقى على عيني يعقوب...

فرقص جوان طرباً واستفزه الحبور وأثاب المرأة بخمسين قطعة نقدية هبة.. فضَّ الرسالة وقرأ فحواها:

" لك مني كثير السلام يا جوان.. افديك "بمهجتي" في كل حين وآن..

آه منك يا يوسف سرعان ما نسيت.. لكنّ زليخا في لاعج الشرق إليك..

حائرة سادرة .. إعلم أن نأي الأحبة يخمد أوار العشق... فإذا أدبر النهار ودخل الناس في الشفق فاحضر إليّ هذه الليلة ..

ولما أذنت الشمس بالمغيب .. انتفض وهرع سائراً إلى الحبيبة.. خرج مثل مم حائراً وسار على الدرب الذي يفضي إلى مخدع زين .

ولما وصل إلى ربة الحسن والبهاء ، شاهد آلاف القناديل والشموع متقدة... رأى الأنوار تومض في أركان السرير الذهبي الأربعة كما يومض البدر التمام فوق الروابي وقنن الجبال ويسافر شعاعه فوق الكائنات. ان كانت ضبابة قد حجبت صفحة القمر فها هي تنقشع وانجابت عنها الغلالة القاتمة...

فإذا بجوان وكزي العاشقين يهيمان في بحار السعادة والفرح.. يتناجيان.. يتطارحان لواعج الحب ويتشاكيان فأذا هما يتصارحان وقد زالت عنهما الكلفة... في هذه الليلة عرس اللقاء...اللقاء بين ليلى ومجنونها...

كانا يقضيان ساعاتهما كلما تواصلا بين لثم وعناق وشكوى وعتاب... ولكن ليس للايام امان ولا تدوم على حال...

فقد أحس بهما "كلش" يوما، فاستل حسامه ولما راه جوان البائس يجرد السيف من غمده ولى هاربا وأسرع إلى بيته. لكنه ظل منشغل البال برفيقته ولما عاد كلش لم يجد سوى "كزي" .. فسألها: أين ذاك الذي كان معك؟ قالت في دهشة وإصرار:

- لم يكن هنا أحد.

ولكن كلش لم يقتنع بجوابها ... فضربها ضربا لا عجاً ومبرّحاً..

عندما أدبر الظلام واشرق النهار أفاق الأمير كلش من رقاده.. كان محمر الأحداق غضباً وغيرة فنادى زوجته بريشان وقال لها:

-ايتها الزوجة الفاضلة غداً سنرحل من هذا المكان.

كانت الخادم[٨] تسترق السمع وعلمت ان الرحيل سيكون إلى نينوى. ونقلت الخادم كل حديث جرى بينهما إلى "كزي".

باع الامير كلش جميع أمواله... أطيانه وممتلكاته وقصوره

في تلك الليلة لم تهدأ كزي ولم تثبت على حال... وبدت لها الأشياء مرعبة ودميمة... ظلت حائرة.. ضاقت بها الدنيا بما رحبت

تجوب أرجاء القصر ثم نمقت سطوراً على بوابة القصر:

[٨] - كلمة الخادم هنا تعني الخادمة: وكلمة الخادم تستعمل للمذكر والمؤنث.

اهلا بك ايها الزائر الحبيب... يا من جئت تسعى لرؤية حبيبتك الحسناء... هذه أحداقي إجعلها موطئ قدميك في درب مجيئك.

يا مم الشقي .. إعلم أن زين قد رحلت، أيها البائس التعيس.. إننا راحلون إلى نينوى وإن خاتم سليمان قد انتزع من بنانك

فهيا اقتف أثري ... وليكن (إلياس الخضر) هاديك ومرشدك.

وفي باكورة صباح اليوم التالي ، كانو قد شدوا الرحال.. ولم يعلم بذلك أحد لا المراة العجوز ولا جوان ... إمتطت كزي الكسيرة الفؤاد الجواد الرهوان... تنهدت وودعت مدينة "آمد" .

اليوم أودعك يا امد.

ولكن اعلمي إني تركت فيك توأم روحي ملتاعاً متأوها يتلظى بسعير الهوى.. يحترق وجداً وهياماً.

وها هو البلبل في لوعة وهوس فقد ولى الربيع.. وغابت عن عينيه الزهرة الشذية.

لقد تركنا المجنون خلفنا في المرابع وحيداً مستوحشا والتحقت ليلى بقوم اخرين. لقد خرجت كزي من آمد: وهاجرت. ولكن.. وا اسفاه.. لقد تركت قلبها عند الاحبة.

في الصباح الباكر استيقظ جوان، وأمت شطر السرايا حيث البرج والإيوان... إنه الإسكندر المقدوني يؤم "ماء الحياة".... دون أن يغشى الظلام تلك البلاد...

ولما وصل إلى ذاك الصرح الشاهق رآه خاوياً على عروشه تنعب فيه البوم وينعق الغراب... راه وكأنه قد آل إلى أطلال متل"ايوان كسرى".

فدأب يجلس هناك منقطعا عن الخلان والأصحاب..

ولما رأى ما كتب على البوابة، خر مغشيا عليه ولما افاق طفق يبكي ويذرف الدموع المدرارة حتى ابتلت الأرض وتوحلت..

ويرثي لحاله وحال كزي. آه.. لم تركتني وحيداً اتجرع الآلام وأكابد الأشجان.. فأي معنى لحياتي من بعدك يا كزي. قفل آيباً إلى البيت كسير القلب مغتم النفس مشوش الفكر..

فكر ملياً ثم اهتدى إلى أن يرتدي مطارف خضراء... ويقتني وطاباً (جعبة جلد) ويتنكبها ويخرج هائما... على وجهه لا بدري إلى اين تقودهه قدماه.

يتعثر بالحصى والحجارة يسائل السابلة.. ينزل إلى الوهاد مرّناً معولاً كالسراحين.. يتجول بين السهوب وسفوح الجبال... يبيت الليل في العراء مفترشاً الارض ويلتحف السماء.. توطدت بينه وبين السباع والوحوش وشائج .. تراه وكأنه يفر من طغيان الضحاك. يجتر ألم الفرقة والاغتراب...

وبعدما أضناه المسير .. وأنهكه طول الطريق بلغ نينوى... تجول في المدينة.. ودأب يسائل كل من يلقاه عن مرابع كلش.

كانت دار كلش كقلعة قد أحيطت بسور شاهق ...

رأى كلش الأقفال والسلاسل على الأبواب وبدت له كثعابين... وكأنما توجس كلش أن يدهمه جند الاسكندر فأمعن في الحرز والتحصين...

طاف بالمكان بحثاً عن ثغرة... ولكنه لم يجد ما يسعفه..

ثم أنه رفع نظره إلى أعالي القصر ورأى الغانية الحسناء... كانت ازاء الشباك تضع يدها على خدها، ناداها جوان:

إنني مدنف سقيم.. أنا العاشق المتيم.. أنا المعذب جراء نأيك... أنا شهيد نظرات الأحداق السوداء... أنا قنيصة الحبائل والاشراك.. إعلمي يا خجي أنني سيامند... أنا صياد الوعل في جبل "سيبان" أنا الذي مزقت جسده اغصان شجرة اللوز... أنا الهائم بحب الغانية "السليفية"... أنا الغريب عن الأهل والأوطان أنا التائه البائس في الجبال والسهوب.. انا ملك عواصم الهموم والأتراح....

أنا الجريح في الفيافي والسفوح ... أنت الـ"آفستا" وانا "زرادشت".... أنت الجودي وأنا الفلك[٩٩]... أنا المتيم المتلهف الممسوس شوقا إلى رؤياك. أنا البائس التعيس الحائر الشقي... المذعن لمشيئتك..

حين انهى دعاءه خر مغمى عليه. وقد وعت كزي كل حديثه وحفظت فهبت واقفة... حملت بيدها كأس شراب من التفاح.

وأسرعت تقرع بنعلها الطابق العلوي"العلية" مسربلة بالحلي والحلل. وهبطت من البرج ولما اقتربت منه بقدها الأهيف قالت له في رقة وحنان: تفضل هاك هذا الماء.

تناوله جوان مثل الشاه: هرمز المكلل بالتاج واراق ذاك الشراب الشبم من فرط لوعته وحيرته.. فنشجت وانتحبت كزي..

---

[٩٩] ـ الفُلك: السّفينة.

وكان الفتى الآمدي يواظب على القول: انني لست طامعا في شيء من طعام أوشراب هذه الدنيا ولست ابغى سوى ان انعم برؤية محياك، هكذا كان يحدث كزي. جلس إلى جانبها.

نفس عن كربه، وعادت إلى نفسه الكئيبة البشرى والمسرة... وظلا يتناجيان ويتطارحان الغرام حتى ادبر النهار وغربت الشمس فنهضت كزي وقالت: يا جوان انبئني عن مكان للوصال، فأنبأها جوان بالمكان والزمان.

في اليوم العشرين من الشهر ليلا وفي الحال اسرعت كزي عائدة إلى السراي. وعاد جوان إلى المكان الموعود للقائهما.

قطفت كزي بعض الرياحين وجعلتها باقة لترسلها إلى "كسرى" مع طبق من ضروب الفاكهة الشهية وخبأت المفتاح في جيب ردائها وقالت للخادم "كلي" خذي إليه هذه الورود...

بلغيه التحية والسلام، والثمي عني وجنتيه .. واخبريه... ان يجيء هنا بعد الهزيع الاخير من الليل... لكن كلي خادمة قصر كلش مثل قلعة دمدم خانت العهد ونقضت الميثاق... غدرت به من اجل خمسين قطعة ذهبية...

كما غدر بالخان وزيره من اجل حفنة من المال بعد ان تحدث إلى شاه العجم فتأمرا وتواطأ حتى سقطت دمدم .

ان لم يكن داء الشجرة من الشجرة فلن تبلى ولن تذبل....

خرجت مسرعة كالزوبعة تجوب الاسواق وتجوب بين الازقة والاحياء باحثة عن منزل جوان المدنف...

ولما وصلت إلى زقاق ضيق معتم سمعت أنين جوان، ولما عاين طيف كلي... اهتز طربا وزايلته الآلام و الاسقام فنهض واستوى جالسا وقال:

أهلا بك ومرحبا...

ايها الهدهد ماذا جلبت من سبأ؟

قدمت اليه الطبق(الصحن) وقالت: هاك مني "انا الوردة كلي" بلسم لقمان

أيها الشجي الفؤاد
خذ مفاتيح بساط الريح...
وسافر إلى سبا لزيارة بلقيس
وسوف تفتح لك خزائن قارون والاسكندر
بهذه المفاتيح
فانهض يا آدم
فها هي روحك تبعث حية
ها هو جسدك يرتد إليه الروح
إنهض يا آدم فقد غفرت ذنوبك
بعد توبتك النصوح
ايتها الفراشة البائسة
ها هي شمعتك قد اتقدت
يتصاعد منها النور الساطع
كضوء البروق

انهض ودع قلبك يصْلى بتلك النار- ولا تندم- ان كنت حقا تفدّي حبيبتك.

ان كنت بلبلا فقد أقبل الربيع
وها هي وردتك تنتظر قدومك
انهض.. انهض يا "مم"... المكلوم الفؤاد
واخرج من خلوتك إلى زين
اذا سجى الليل وانقضى منه هريعان
فاحضر سريعاً هادئاً مترفقاً متأنياً
إفتح الباب بهذا المفتاح..
واقرع النافذة بحصاة في لين
وهذه أمارة بينك وبين الحبيبة
فأهلا بك
الآن أقول لك وداعا.

نهضت كلي وغادرته فتألبت عليه الهموم. ولما غربت الشمس وأقبل الليل انطلق مسرعا إلى دار كلش. انتظر وتريث وأصغى مليا.

فأدرك أن ليس من ساهر عندئذ أمّ الحبيبة مبتهجا مسرورا.

لم يعد لدى الباب من حاجب أو حارس فعالجه جوان بمفتاحه.

لقد اقتحم مم حدائق الامير زين الدين وذهب يدنو من البرج الذي تسكنه زين . ايقظ جوان كزي بصوت قرع الحصاة، فنهضت الوصيفة "كلي"

تقدم جوان وتجاوز العتبة بإحدى قدمه واخر قدمه الاخرى مندهشا منذهلا حيث هبت على خياشيمه نفحات من الطيب والعطور....

وتهاوى على الارض مغمى عليه هامد الجثة خامد الروح.

أسرعت إليه كزي وتناولت رجله وسحبته إلى داخل الغرفة... فرشت له حشيتين فوق السرير ثم اضجعته عليه كالأموات... ودثرته بكل ما وجدته في القصر من ملاءة وغطاء فتفصد منه العرق وغرق كل جسمه في العرق الغزير...

لم يمض وقت طويل حتى استفاق ووعى ما حوله.

رأى "كزي" باكية متنحبة، ولما شاهدته كزي قد استفاق وفتح جفنيه هرعت إلى إحضار كاس من مذاب السكر. بيديها الغضتين الناعمتين قدمت له الشراب وقالت:

-هيا اشرب ايها الحبيب.

كأن جبريل ذهب بماء الحياة إلى "الخضر" حيث تغرب الشمس.

فلما احتسى من ذلك الشراب السائغ الفرات، عادت اليه قواه ولم يعد يئن او يتأوه. نهضت كلي وتركتهما وحدهما، وأغلقت الباب في هدوء فرقاً ان يسمع او يجيء كلش.

وإذ خلا المكان تبادلا القبلات وترشفا شهد الشفاه... تعانقا.. وتلاصقا... وضاعا في عناق طويل ونسيا العالم...

لكن الأقدار لا تريم على حال ويتعاقب الليل والنهار فلا تركن إلى الايام وكن منها على حذر ولا تثقن بها.

فإنها ما برت بوعد قط، ولا ادامت لأحد فرحة. لم تستثنِ من مكرها نبياً أو أَمَةً. لم تدع اليسوع النوراني وشأنه ولم تمهل موسى الحافي القدمين على جبل الطور وما ابقت على سليمان الحكيم ذي الحظ العظيم الذي سخرت له الجن والإنس ودانت له الحيوانات وأذعن له كل ذي جناح وأعطي بساط الريح الذي يطوي المسافات الشاسعة.. يحلق به في الافاق.

يسافر إلى المشارق والمغارب

لم يدم السلطان لنوح صاحب الفلك العظيم فتريث وتوقّ عوادي الزمن

وحذار ان تضل مثل جوان وكزي.

ظل العاشقان يتناجيان ومر بهما الوقت سريعا وهما لا يعلمان..

ولدى بزوغ الفجر دهمهما كلش ولما راهما كلش في خلوتهما ... احتدم غيظاً وكاد ان يتميز من الغيرة والغضب...

فجرى وهرع إلى حسامه هائجاً مثل سرحان تلطخت أشداقه بالنجيع، فجرد سيفه البتار ذا الأشطان.. وتوقف لدى الباب شاكي السلاح...

وفي اليد الاخرى المقرعة الحديدية وجوان البائس لم يجد مناصاً أو حيلة، فالقى بنفسه من النافذة الشاهقة، وكان الله به رؤوفا فجعل له الارض كالعهن المنقوش، فحلق كالبازي وصارت يداه مثل جناحين وريش...

نهض بين التأوه والانين وبقلب كسير سار صوب بيته، فلندع جوان البائس المسكين ولنعد إلى "كزي" صاحبة الحظ العاثر وماذا صنع بها كلش.

****

دخل كلش الغرفة وفي يده الكرز وكذا الحسام
أمسك بضفائر كزي وضربها ضرباً مبرّحاً
نفس عن جيشان نفسه
واذ سمعت بريشان صراخ كلي اسرعت إلى نجدتها... احتضنتها

****

في تلك الليلة لم يرنق النوم في أجفان كلش ظل مسّهداً حتى الصباح ... مصطلياً بالجمر واللهب، وحين بزغت الشمس و ذر قرنها واسترسل شعاعها، وأشرقت بالنور جهات العالم الأربع وأرسلت اشعتها إلى ذرا الجبال الشامخة. والى الزوزان والسهوب والمدن والأرياف.

لقد غدا هرمز ملك العالم، واندحرت جحافل أهريمان،

نهض كلش الذي لم تغمض أجفانه في تلك الليلية . مهموما يائسا بائسا حائرا. وقد اوصدت في وجهه كل الابواب في هذا العالم.

تتقاذفه لحج الافكار والهموم... وأظلمت في وجهه الدنيا وضاقت به بما رحبت حتى ظل يتمنى المنية في ليله ونهاره

وشاع امره بين الناس وتردد ذكره على كل شفة ولسان يا للبؤساء المساكين..

يضحى هذا الورى كله خصوماً وأعداء ولكنهم لا يعرفون لذلك سبباً.. ومن بعيد تستنشق الكلاب رائحته وتود ان تمزق ثيابه... وذو الغنى لو قال: لقد راح الجبل يعدو لصدقه الكثيرون من أمثالي وامنو بكلامه .

ظل أمداً حائراً صامتاً متفكراً و بغتة هب واقفاً على قدميه... وتوجه كلش مسرعاً إلى السوق وفي الحال ابتاع قطيعا من الحملان والشياه واشترى كذلك خباء مع الطنب وأشطانه وقدوم واوتاد واروقة. ثم باع دوره وقصوره بثمن بخس.

واستاجر لانعامه راعيا سار بها الى البيت.. فاستغرقت الحيرة "كزي" وأمها أمداً والجمتهما فلا تنبسان ببنت شفة فجاءتا تسائلان الفتى الراعي عما حدث..

فادركت كزي انه لم يبق باليد حيلة. فشرعت ابواب القلب للحزن والأسى.. تذرف من مقلتيها العبرات ترثي جدها العاثر وجوان البائس.

وقلبها يكاد يثب من بين جوانحها.

ترى في أي ارض حلت ركائبه أيها الفؤاد اينما عثرت عليه بلّغهُ السلام والثم عينيه الحوراوين ..

ثم توقف وقل بجرس شجي حزين. لقد غدوت مثل مم البائس وانا غدوت زين، وغدا لنا كلش زين الدين.آه ... لقد آل جدنا إلى

"بكو"، ولم يبهج قلبينا مرة واحدة، ثم استفاقت "كزي" العاثرة الجد والدموع تنهمر من العينين الكحيلتين...

وعلمت ان جوان المسكين سوف يأتي يوماً فكتبت على الباب العبارة التالية:

-مرحبا بك يا فلذة من الكبد والمهجة أفرش لمقدمك العيون والأجفان.

أنت ايها البائس اسير هواي تتوق إلى رؤيتي.. أنك تحرق أحشائك.. بين آه .. وانين.. وأنا سبب انينك وآهاتك... إنك لو سألت عن الامي وعذابي لهان عندك ما تعاني من الالم والعذاب... اقسم لك بإله الثقلين ... الجن والإنس ان جراحاتي ابلغ من جراحك ان يكن الفتيان يبكون في حرقة وصمت فنحن الفتيات نضرم القلب كالشموع والقناديل...

لقد خاب فألنا ايها الحبيب ولم يعد لنا رجاء فها نحن مرتحلون وها أنت "مجنون" تمكث وحيداً في مرابع "ليلي" وقد دهم ربيعك تموز وآب وذوت وردتك الفواحة على الأفنان وجفت روضتك ونضب ماؤها وغدت مجثماً للبوم والحجل .

طريقنا كم هو شاق وناء، فإننا سائرون إلى دشت "جبل سفين" ولما انجزت كزي الكتابة... جلست وأحرقت القلب انتحاباً وشجناً...

في ذلك الصباح احضر كلش بغالا حمّلها بالأمتعة والرياش وما في الدار من ممتلكات ثم سار ركبه حتى بلغوا مرج "شماموك".

فالقوا عصا التر‌حال ... كان مرجاً رحيباً واسعاً مزداناً بالكلأ والأعشاب والزهور.. في الاسفل منه سهل منبسط في أعاليه جبل سامق عال..

تتدفق من ذراه ينابيع ماء شبم وتنصب الشلالات.. وعندما تنحدر... يصدر خرير وهمهمة وتنشا في السهل انهار وغدران وجداول من ماء عذب فرات تستقى منها الدواب والانعام والطيور..

جميع الضباع والسباع والوحوش والطيور في الجبل تئن وتضج وتعوي وتغرد بأصوات ولغات شتى..

الضراغم تزأر، والنمور تزعق والبط والكركي يصرخان...

الذئاب تعوي والكلاب تعوي وتنبح والعصافير تتخاصم والحجل يقبقب..

اسراب الوعول وجماعات الخنازير تثغو وتقب ..

يصرخ البازي وتشدو البلابل... انها لا تعرف نوما... تظل مسهدة من الغسق حتى السحر.. ترقد ليلا ونهارا بين العشب والورد فإذا الربيع جنة من جنات الخلد طرزت بنقوش الله رائعة ما بعدها روعة او جمال في هذه الدنيا.

لو تضافرت الاف النقوش "ارزنك" و "ماني"

لما أتت برونق وردة حمراء واحدة.

ينبسط تحت الجبل سهل مستو شاسع تترعرع فيه كل ظبية وخفش وشادن من الغزلان تتصاعد اصوات الرعاة وثغاء الشياه والنعاج والحملان ترعى افانين العشب والكلا وفي سفح جبل

"سفين" القى "كلش" أطنابه ونصب خيامه، وها هي "كزي" المهاجرة لا يغيب عن ناظريها طيف جوان.

تسلّي عن كربها وبلائها بالنحيب والبكاء..

وقد تصدعت آمالها واستسلمت للمشيئة الالهية العظيمة...

فلندع "كزي" اليائسة، ولنعد إلى جوان المدنف السقيم... لم تمر به ساعة من هدوء وامان، وخلوّ بال... ترى.

أين الباشا وماذا صنعت به المقادير وماذا حل بحشاشة قلبه "كزي"...

كانت احلامه سراباً وفي يوم من الأيام عنّ لجوان أن يزور ذاك القصر الكبير وتلك البروج والمرابع ولما وصل إلى بوابة "السرايا" ألفى لديها فتاة حسناء، لم تكن "كزي" ولم تكن بائسة مثل "بريشان" و"كلي"...

حياها في لوعة وأسى ثم جلس. عرفت الفتاة أن هذا الفتى الوسيم لم يأت إلى هذا المكان عبثاً أو دون غاية، رأته منكباً على قراءة ما دون على الباب حرفاً حرفاً، عندئذ انهلت من عينيه العبرات.. وهمد في مكان لا تحمله ركبتاه..

فسأل الفتاة دون خجل أو حياء:

ترى أين تلك الظبية الأليفة، عندئذ عرفت أن الفتى يعاني لواعج الغرام فقالت له:

أيها المكتوى بنيران الحب إن كنت تسألني عن تلك الطبية فإنها ولاشك تقيم في دشب جبل "سفين"...

ولما فهم حديث الفتاة أحس ان كل جوارحه تحترق وتتظلى فنهض في الحال وتوجه ساغباً حائراً هائماً إلى دشت جبل سفين..

سار طويلا بلحف في السؤال كلما بلغ قرية أو رابية أو وَهْداً.. وبعد مسيرة اربعة عشرة يوماً وقد نال منه وعثاء السفر وصل إلى الجبل..

وعندما توغل صعداً في اعالي الجبل لاحت له مشاهد المرج وقد نصبت عليها الطنب..

ورأى حبيبته "كزي" تعود من الينبوع فانحدر مسرعاً من الجبل ووقف إزاءها فذهلت كزي ولم تصدق عينها والجمتهما المفاجأة فظلا يتحاوران بلسان الحال ولغة العيون ونظرات كل منهما تحرق جوانح الآخر...

انصرمت لحظات طويلة وهما صامتان.. وأخيراً عندما استطاعا أن يتفوها نطارحا أفانين الغرام مما أدهشا الصخور والحجارة والجمادات..

الطيور خفقت لهما باجنحتها وهفهفت وأصغت اليهما سباع الجبل...

وصمتت كل ذي جناح وكفت البلابل عن الشدو والتغريد فكان يخيل اليك أن الجبال قد خوت من كل الكائنات..

فلا حفيف شجر ولا حركة أنسام ولا خرير مياه..

ذوت الورود في خمائلها وتساقطت اوراق الشجر الخضراء..

مهما اطنبت في الوصف فلن أفي ذلك حقه في مئات الدفاتر وآلاف السطور.. وقصارى القول فقد ولج جوان وكزي رياض الورد وقطف كل من دوحة الآخر ما لذ وطاب...

ومضى بهما الوقت بين لثم وتقبيل يرتشفان سلافة الشفاه وشهدها ولما خيم عليهما الظلام استفاقا من نشوتهما..

فتواعدا على اللقاء ليلاً في مكان خال لا يخطر لأحد على بال.. نهضت كزي متوجهة إلى البيت...

اما جوان فهبط إلى مشارف وهدة "واد" وكان هناك كهف مظلم ضيق فلجأ إليه متنكباً بندقيته وبات فيه ليلته.

كان يمضى نهاره في القنص والصيد وفي الليل يسهر مع كزي... ولكن واسفاه

ذاك لم يدم لها طويلاً لأن الفلك الدوار لا أمان له إنه يدس السم في الدسم، يعطيك كلاماً معسولاً ويضمر لك العداء...

فلا تركن إليه فليس له عهد أو ميثاق...

ففي مرة من المرآت التأم الشمل بين هذين العاشقين البائسين وكانت أشعة الشمس تطرز الجبال والوهاد...

وعلى غفلة منهما إنهار عليهما جبل ثلجي وهما لا يستطيعان صراخاً أو استغاثة... وهكذا قضيا نحبهما واسلما الروح لبارئهما.. وكما جاءا إلى الدنيا خرجا منها ولم يتحقق لهما حلم من الأحلام..

فما وجدا ساعة فرح أو مسرة على هذه الأرض وبقي الحب في فؤاديهما آهات وحسرات...

في تلك الليلة لم يهدأ لكلش بال ولم يقر له قرار فبحث عنها في كل مكان...

في الجبال والسهول... وجن جنون أمها فهامت على وجهها في الفلوات والبراري باحثة عن فلذة كبدها نادبة حتى أضناها السير والتجوال فجثمت دون حراك...

لا تأكل أو تشرب أو تتفوه بكلمة فلبس كلش وكذا كلي وبريشان ملابس الحداد... وبعد سبعة أيام ذابت الثلوج فبانت جثتاهما...

كان الرعاة هم أول من شاهدوا جثتي العاشقين، ونقلوا الخبر إلى اسرة كلش فجاء الجميع مسرعين..

فكان النحيب والعويل يملآن مسامع الوديان وكأن الطبيعة تشاركهم الندب والعويل..

وصمتت البلابل والشحارير والعنادل عن الشدو والغناء فإذا هي بكماء..

وفي مكان قفر ألحدا في رمس بعيداً عن المدن والقرى ونقشوا اسميهما على شاهدين حجريين فصارا رمزاً للعشق...

وبفؤاد لاعج عاد كلش متوجهاً إلى موطنه بعد ثلاثة أشهر بلغ مدينة آمد فسحقاً له... إذ فرّق بين عاشقين وحرم عليهما حياتهما الهانئة...

وهنا ينهي تيريز سرد روايته....

ودمتم... والمجد للوطن....

الفهرس

المقدمة ٥
ليس بالتبجح ١٧
الساقي ١٩
أنا اليراع ٢١
الوطن
..... ٢٣
لقد أينع الربيع ٢٦
البلبل الجذلان ٢٩
الكركي ٣١
العمر الذي انصرم ٣٥
ضوء القناديل ٣٦
الزورق والقارب ٣٨
مدنفٌ أنا ٣٩
العروس المتوّجة ٤١
اشراق الحبيبة ٤٤
طواف في كردستان ٤٥
بهجة القلوب ٥٦
فاكهة الوطن ٥٨
لست بازياً ٦١
إلى دلاور زنكي ٦٣

يا بنيّ ٦٤
العمر المنصرم
..... ٦٥
النار المحتدمة ٦٦
ليت الدهر كان ربيعاً كله ٦٨
الوردة الحمراء ٧٠
موعظة ٧٢
حوار بين الأستاذ والفتاة
..... ٧٤
السفينة والقارب ٧٧
العجوز وحماره ٧٩
معركة ديكين ٨١
ضوء الخزام
..... ٨٣
حكاية جوان وكزي
..... ٨٥